موسوعة الأسرة
(ما يهم الرجال والنساء)

بكر محمد إبراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والأعلام

اسم الكتاب : موسوعة الأسرة

(ما يهم الرجال والنساء)

بقلـــم : بكر محمد إبراهيم

الطبعة : **الأولى ٢٠٠٤**

الناشر : **مركز الراية للنشر والأعلام**

رقم الإيداع : ٤١٠٠/٢٠٠٤

I. S. B. N.
977 - 354 - 035 - 9

المقدمة

الحمد الذى خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة، إذ تمنى والصلاة والسلام على سيدى أبى القاسم الذى أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العرش الكريم ،

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه.

وبعــــد ،،،

فهذا كتاب أسرار هامة للرجال والنساء استعرضت فيه كثيرا من الأسرار والمعارف الإسلامية والعلمية والاجتماعية الخاصة بالرجال والنساء ومنها الترغيب فى النكاح والفرق بين منع الحمل وتنظيمه وبواعث منع الحمل ، وحكم الرسول ﷺ فى العزل ووسائل تحديد النسل وبيان مضارها ، ومقاصد الزواج والزواج العرفى والمحرمات من النساء ، وأسئلة الأطفال عن الجنس والزواج السرى وكيفية ثبوت نسب الولد فى الزواج السرى والعادة السيئة وأهمية القوة الجنسية عند الرجال والصحة والقوة الجنسية وارتباطها بالغذاء مع ذكر عدد كبير من الوصفات للقوة الجنسية .

ثم تركيب الجهاز التناسلى للرجل والجهاز التناسلى للمرأة وغشاء البكارة وأنواعه والأمراض التناسلية والعقم والتلقيح الصناعى والحمل ، وغير ذلك من المعارف الهامة الضرورية للرجال والنساء .

نفع الله به والحمد لله أولا وأخراً .

بكر محمد إبراهيم



١- الترغيب فى النكاح

وبيان مقاصده

شرع الله - جلت حكمته- الزواج لحكم كثيرة

منها: أنه أحصن للفرج ،وأغض للبصر قال رسول الله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

(رواه أحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن).

ومنها: الإبقاء على الجنس البشرى فى الأرض لعمارتها وإصلاحها تحقيقا لما أراده الله تعالى.

قال سبحانه :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾ [البقرة].

ومنها : كثرة الأولاد الذين يتم بهم بناء الأسرة، وتقوى بهم الأمة، ويتحقق التعاون بينهم- لعمارة الأرض.

ولذا عد الله سبحانه الذرية نعمة منه علي الناس تستوجب منهم أن يشكروه ولا يكفروه، وأن يتقوه رجاء رحمته وخوف عذابه، وأن يصلوا أرحامهم أداءً لحق القرابة وتقوية لأواصرها حتى يكونوا عباد الله إخوانًا متحابين.

قال الله تعالى فى بيان كمال قدرته، وعظيم منته على عباده :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء].

ونهى النبى ﷺ عن التبتل، وأمر بالزواج، وحبب إلي الرجال التزوج بالودود الولود خاصة، تحقيقًا لرغبته فى المباهاة بأمته يوم القيامة.

فعن أنس أن النبى ﷺ كان يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيًا شديداً، ويقول : «تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة». (رواه الإمام أحمد وأخرجه ابن حبان وصححه).

وعن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال: «أنكحوا أمهات الأولاد، فإنى أباهى بكم يوم القيامة». (رواه الإمام أحمد، وأشار إليه الترمذى فى جامعه، وقال فى مجمع الزوائد. فيه جرير بن عبد الله العامرى، وقد وثق وهو ضعيف).

وعن معقل بن يسار قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال. إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد، فأتزوجها؟ قال: "لا" ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم». (رواه أبو داود والنسائى وصححه الحاكم).

وفى الباب أحاديث كثيرة وفى بعضها ضعف، لكن مجموعها يدل على المقصود من الترغيب فى النكاح وخاصة نكاح الولود

وقد بين الغزالى مقاصد النكاح وفوائده فقال: إن النكاح معين على الدين، ومهين للشياطين، وحصن دون عدو الله حصين، وسبب للتكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين، فما أحراه بأن تتحرى أسبابه، وتشرح مقاصده وآدابه.

ثم قال : فى الزواج فوائد خمسة :

الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس.

ثم ذكر أنه إذا قصد بالزواج التناسل كان قربة يؤجر عليها من حسنت نيته. وبين ذلك بوجوه :

أولا: موافقة محبة الله فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

ثانيا: طلب محبة الرسول ﷺ فى تكثير من به مباهاة.

ثالثا: طلب البركة وكثرة الأجر ومغفرة الذنب بدعاء الولد الصالح له بعده.

وأكد الغزالى أن الوجه الأول أقواها وأظهرها لذوى الألباب، وضرب لذلك مثلاً خلاصته :

سيد أعطى عبده بذوراً وآلات حراثة وأرضاً صالحة للزراعة ووكل به رقيباً يستحثه، فإذا تراخى العبد فى الحراثة والزرع ونحى ذلك الوكيل الذى يستحثه فقد استوجب غضب سيده وطرده.

والله تعالى خالق الزوجين الذكر والأنثى وزود كلا منهما بخواصه، وجعل الشهوة فيهما قوة دافعة إلى إظهار حكمته تعالى فى التناسل والإنجاب.

فمن انحرف عن ذلك أو عارضه فهو متحد لسنن الله فى الكون مستوجب لغضبه وسخطه.

ومن المعلوم أن الأولاد منذ القديم كانوا أمنية الناس حتى الأنبياء

والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين، وسيظلون كذلك ما سلمت فطرة الإنسان.

قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾ [الأعراف].

ولما دعا إبراهيم قومه إلى توحيد الله وعبادته دون سواه وصبر على أذاهم وثابر على دعوتهم ألقوه فى النار وأنجاه الله منها، وأعتزلهم وما يعبدون من دون الله، وهب له إسماعيل، ثم إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، استجابة لقوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) ﴾ [الصافات].

بشره بإسحاق نبيًا من الصالحين، وجعل النبوة فى ذرية خليله من بعده، جزاءً كريمًا، لصبره على الأذى فى سبيل الدعوة إلى الله، ونجاحه أتم نجاح فيما ابتلاه الله به من كلمات.

فالأولاد نعمة تتعلق بها قلوب البشر وترجوها، لتأنس بها من الوحشة، وتقوبها عند الوحدة، وتكون قرة عين لها في الدنيا والآخرة، ولذا طلبها إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) ﴾ [الصافات].

وطلب زكريا عليه السلام من ربه ذرية طيبة، قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾ [الأنبياء].

وقال: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ

وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾ [مريم].

وأثنى سبحانه على عباده الصالحين بمحامد كثيرة منها قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾ [الفرقان].

وأخبر تعالى أن شعيبًا عليه الصلاة والسلام أمر قومه أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم كثرة بعد قلة قال : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝٨٦ ﴾ [الأعراف].

وذلك لتشكروه ولا تكفروه وليعرفوا لله حقه وللعباد حقوقهم، فاعتبر تكثيرهم بعد القلة نعمة عظمى توجب عليهم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .

ولعل فى هذه الآيات رد على المطالبين بتحديد النسل .

❊ ❊ ❊

٢- الفرق بين منع الحمل وتنظيمه وتحديد النسل

(أ) منع الحمل :

هو استعمال الوسائل التى يظن أنها تحول بين المرأة وبين الحمل كالعزل وتناول العقاقير ووضع اللبوس ونحوه في الفرج، وترك الوطء فى وقت الإخصاب، ونحو ذلك.

(ب) تحديد النسل:

هو الوقوف بالإنسال عند الوصول إلى عدد معين من الذرية باستعمال وسائل يظن أنها تمنع من الحمل.

(جـ) تنظيم الحمل :

هو استعمال وسائل معروفة لا يراد من استعمالها إحداث العقم أو القضاء على وظيفة جهاز التناسل بل يراد بذلك الوقوف عن الحمل فترة من الزمن لمصلحة ما يراها الزوجان أو من يثقان به من أهل الخبرة.

فالقصد من الأول :

عدم التناسل أصلاً سواء أصيب جهاز التناسل بعقم أو لا.

والقصد من الثاني:

تقليل عدد النسل بالوقوف به عند غاية، سواء أصيب جهاز التناسل بعد هذه الغاية بعقم أم لا

والقصد من الثالث :

مراعاة حال الأسرة وشئونها، من صحة، أو قدرة على الخدمة، مع مراعاة الإبقاء على استعداد جهاز التناسل للقيام بوظيفته.

❊ ❊ ❊

٣- بواعث منع الحمل وتحديد النسل

(مع المناقشة)

إن الدعاة إلى تحديد النسل ومنع الحمل قد اعتمدوا علي عدة دوافع وأسباب فى دعايتهم لرأيهم وترويجهم له نذكرها فيما يلى مع مناقشتها:

الأول : أن مساحة الأرض محدودة والصالح منها لسكنى الناس وللزراعة وإنتاج ما يحتاجه الناس محدود، وأن وسائل المعاش الأخرى من الصناعة والصيد، وتربية المواشى، والتجارة، ونحوها محدودة أيضاً.

أما تناسل الناس فهو فى نمو مستمر وزيادة غير محدودة. فإذا استمر الحال على ذلك ضاقت الأرض بسكانها ولم تسعهم وسائل المعاش ولم تكف لقوتهم وكسوتهم، وهبط مستواهم في جميع النواحى صحة وعلماً وثقافة، وانتهى بهم الأمر إلى أن يعيشوا عيشة بؤس وشقاء أو أن يهلكوا نتيجة للعرى والجوع والنزاع والتناحر علي لقمة العيش، وما يدفع عنهم غائلة الحر والبرد، فوجب أن يتخذ ما يلزم من الوسائل لتحديد النسل والوقوف به عند غايته، إنقاذاً للناس من خطر داهم قد ظهرت بوادره وأنذرتهم سوء المصير.

المناقشة :

(أ) الحكم فى أن زيادة التناسل وتضاعف عدد الناس فى المستقبل يفضى إلى ضيق الأرض عن سكناهم وضيق وسائل المعاش العديدة عن أن تسعهم وتكفى لسد حاجتهم حكم مبناه الخرص والتخمين والنظر الاقتصادى الخاطئ الذى كذبه الواقع أن الأرض لم تضق بسكانها مع كثرة نموهم وتزايدهم، ولم تزل وسائل المعاش تتسع لهم منذ خلقوا إلى يومنا الحاضر.

وقد قرر ذلك كثير من علماء الاقتصاد وخطؤوا النظرية الاقتصادية التى

يبنى عليها دعاة تحديد النسل رأيهم.

(ب) إن دعوى أن مساحة الأرض التى تصلح للسكنى والزراعة والإنتاج محدودة دعوى غير صحيحة فإن ما سكن من الأرض وما استثمر منها فى الزراعة والإنتاج وإخراج دفائنه وخاماته قدر ضئيل بالنسبة لما لم يسكن وما لم يستغل غيد أنه يحتاج إلى تهيئة للسكنى والاستثمار وسعة فى العلم بالكونيات وما أودعه الله فى الأرض، ومعرفة بطرق استخراجها وتخليصها وخبرة بخواصها وكيفية استغلالها والانتفاع بها، فعلي تقدير وجود مشكلة فهى لم تنشأ عن كثرة تناسل وتكاثف السكان وإنما نشأت من الجهل بما أودعه الله فى الأرض من خيرات، وقلة العلم بطرق الاستغلال وإهمال الناس أو إعراضهم عن العمل والسعى لكسب ما فيه سعة ورخاء ونهوض بهم وارتقاء.

(جـ) إن ضرورة الناس وشدة حاجاتهم ألجأتهم إلى تهيئة ما يستطيعون من الأرض وإصلاحه للسكنى والزراعة واضطرهم أن يتعلموا من العلوم الكونية ما يساعدهم على التوسع فى ذلك، ويفتح لهم أبوابًا كثيرة لمعرفة الوسائل العديدة التى تقوم عليها حياة الناس، وتجعلهم مترفين منعمين، ولا يزالون يجدون فى العمل ويدأبون فيه بدافع فطرتهم وغرائزهم حتى تكشفت لهم وسائل عمرانية لم يعهدوها من قبل، وعرفوا كثيرًا من طرق الكسب والمعاش والنهوض والرخاء لم تكن تخطر لهم ببال، وليس ببعيد لو عرضت عليهم من قبل أن يقول قائلهم إنها سحر أو ضرب من ضروب الخيال، وما ندرى ما يسفر عنه المستقبل من شئون الحياة التى قدرها الله لعباده، وأودع لهم أصولها فى أبواب السماء وخزائن الأرض، وجعل لهم من الأفكار والعلوم ما به يتمكنون من تسخيرها لمصالحهم وسعادتهم.

قال الله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) ﴾ [الذاريات]

ومن نظر فى زيادة المساحة المعمورة من الأرض وتحويلها إلى قصور شاهقة وزروع مثمرة وجنات فيحاء ممتعة، ونظر إلى زيادة وسائل العيش وكثرتها وتنوعها وجدها تتضاعف مضاعفة مطردة مع نمو السكان وزيادة عددهم، ولا عجب في ذلك، فإنهم الأيدى العاملة التى خلقها الله لعمارة الأرض وإنها لسنة الله سبحانه فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولولا ذلك لكانت الأرض خراباً يباباً، أو وقف بها العمران عند غاية تتفق مع عدد السكان وقدراتهم ومعارفهم حسب ما تقضى به سنة الله سبحانه فى الأسباب العادية ونتائجها، وإن الواقع لأقوى وأعدل شاهد لما تقدم وإنه لدليل واضح علي خطأ النظرية الاقتصادية التى بنى عليها دعاة تحديد النسل مقالتهم، وقد اضطر هذا الواقع كثيرا من علماء الاقتصاد أن يردوا على إخوانهم دعاة تحديد النسل مذهبهم وأن يبينوا لهم مخالفته لواقع الحال وحقيقة الأمر، ولذلك أيضا رجع عن هذا الرأى كثير ممن كانوا يدعون إليه حينما أحسوا بعواقبه السيئة من ضعف فى قوى حماية البلاد والدفاع عنها، وفى قوى الإنتاج لقلة الأيدى العاملة ... إلخ.

ودعوا إلى التناسل ورغبوا فى كثرته بإعطاء المكافآت إنقاذاً لأنفسهم من الخطر الذى أصابهم من جراء الدعوة المشؤومة إلي تحديد النسل وبهذا يعرف فساد ما زعمه بعضهم من أن عدم تحديد النسل يخرج للأمة أولاداً لا حاجة إليهم، ولا يفيدونها فى ميدان الحياة، وربما ولدوا مرضى فيكونون كلا على أولياء أمورهم أو على حكومتهم.

(د) إن الدعاة إلى تحديد النسل خشية أن تضيق الأرض بالسكان، وخشية أن تضيق بهم وسائل العيش من كثرتهم مع خطئهم فى تقديرهم وقصور عقولهم يظنون بالله الظنون، ويتدخلون فى تقديره لشئون عباده، وهذا هو الضلال البعيد، فإن الله هو الذى خلق عباده، وهو الذى يدبر معايشهم، وهو

الرزاق ذو القوة المتين، وقد قدر أرزاقهم وما يجرى عليهم فى جميع أحوالهم قبل أن يكونوا.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾ [القمر].

وقال: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)﴾ [الرعد]

وقال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦)﴾ [هود].

وقد أنكر على المشركين قتلهم أولادهم خشية الفقر، لاشتماله على جرائم، جريمة قتل النفس، وجريمة ظن السوء بالله، ودخول الإنسان فيما لا يعنيه مما هو شأن من شئون الله، وكل من قتل النفس، وظن السوء بالله، والدخول فيما هو من شئون الله وحده جريمة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ [الأنعام]

وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١)﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾ [الإسراء].

فمن حدد النسل بإجهاض قد يكون مرتكباً لهذه الجرائم الثلاث أو

لبعضها، ومن حدده بمنع الحمل بوسيلة غير الإجهاض فهو مرتكب لجريمة ظن السوء بالله، وجريمة الدخول فيما هو من شئونه وحده، وكفى بذلك عدوانًا وضلالاً مبينًا.

* * *

الثاني : ذكر دعاة تحديد النسل أن الفطرة وضعت حداً مناسباً لتنظيم النسل والمنع من تضخمه فى جميع أنواع الأحياء حتى الإنسان، وذلك بالقضاء على كثير من أسباب التوالد والتناسل ابتداء، وبالموت والفناء بعد الوجود فى أطوار وأزمان مختلفة، فليس بعجيب أن يقال بتحديد النسل أو تنظيمه بالوسائل الحديثة المتبعة اليوم، بل فى ذلك مجاراة للفطرة، وسيراً معها إلى الهدف المنشود من التوازن بين عدد السكان ووسائل العيش والنهوض بالإنسان إلى مستوى يكفل له الراحة وطمأنينة النفس والشعور بمتعة الحياة ولذاتها.

المناقشة :

(أ) إن كان المراد بالفطرة فى نظر دعاة تحديد النسل طبيعة الأحياء وخواصهم وغرائزهم التى أودعت فيهم لتقوم الحياة ويعمر الكون فما ذكروه مبرراً لتحديد النسل أو تنظيمه مناقض للفطرة، وحرب على ما أودعه الله فى الإنسان من طبائع وخواص فإن الإنسان مجبول على الرغبة الملحة فى التزاوج، مجبول على حب التناسل، تواقة نفسه إلى الذرية مسلمًا كان أو كافرًا، حتى إن من حرم الذرية أو أصيب فيما رزق منها بآفات قضت عليها ليكاد يتقطع أسى وحسرة على ما فاته من نعمة الذرية، واعتبر ذلك بلاء نزل به وقضى على سعادته إلا من عصمه الله بالإيمان ورضي بقضاء الله وقدره فيه، ومن آتاه الله الذرية عد نفسه سعيداً، وتجلت فيه عاطفة الأبوة أو الأمومة وحنانها، وبذل جهده فيما يلزم لسعادة أولاده مع ارتياح ورحابة صدر، وسهر الليالى لسهرهم

عملاً على راحتهم وتحقيقاً لمصلحتهم، وبهذا اتضح أى الأمرين جرى على سنن الفطرة، ومقتضى الطبيعة البشرية، الإبقاء على النسل وعدم الوقوف فى طريق إزدياده، أم العمل على منعه والقضاء عليه بعد الحمل بإجهاض ونحوه.

أضف إلى ذلك ما فى كلامهم من الزيغ، حيث نسبوا إلى فطرة الأحياء وطبائعهم تحديد النسل أو تنظيمه بالعقم أو بالموت والقضاء على كثير من أسباب التناسل، وذلك لا يصدر إلا عن جاهل فاسد العقيدة.

قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾ [الشورى].

وقال : ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦) ﴾ [يونس].

(ب) وإن زعموا أن المراد بالفطرة ما يسمى فى شريعة الإسلام صنعة الله رب العالمين ففيه :

أولا: سوء أدب فى التعبير.

وثانيا: التدخل فى شأن من شئون الله وحده، وليس مما يعود إليهم تدبيره.

وثالثا : قياس أنفسهم فى تقديرهم لتحديد النسل على الله فى تدبيره وتعريفه لشئون عباده.

وشتان ما بين عبد مملوك خطاء قاصر الفكر والتقدير والتدبير... إلخ. ورب حكيم له كمال القدرة وإحكام التدبير وله الخلق والأمر وكمال الاختيار يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .. إلخ.

لقد فشلت نظرية تحديد النسل أول الأمر اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً

لمناقضتها مقتضى الفطرة وطبيعة البشر وبنائها على الخرص والتخمين الذى كذبه الواقع، ولإفضائها إلى نتائج خبيثة وعواقب وخيمة ومضار فادحة كما سيجىء بيانه فى مضار الوسائل التى تتخذ لذلك.

ولم يكتب لها الانتشار إلا بكثرة الدعاية والتلبيس على الناس ومصادفة هوى عند عباد الشهوات ومن يفرون من تحمل المسئوليات ويحرصون على نزواتهم دون المصالح العامة.

مع عوامل أخرى كالتقدم الصناعى وإقبال الناس على الصناعة وانتقالهم إلى المدن لذلك، وزهدهم فى الزراعة وانغماس الناس فى الترف والنعيم وكثرة الكماليات والأثرة المادية.

فارتفعت الأسعار وكثرت التكاليف وعمل كل لنفسه بدافع غريزة حب التملك.

وخرجت المرأة إلى ميدان العمل وكرهوا تحمل أعباء نفقة الأولاد ورعايتهم.

ولم يلبث أن انكشف الستار وظهرت الحقيقة للمفكرين منهم فرجعوا عن ذلك، وردوا على هذه النظرية ردوداً جاسمة.

* * *

الثالث : أن طبقات الناس متفاوتة غنى وفقراً، والطبقة الفقيرة منهم لا تتسع ثروتها لتربية الأولاد تربية تكفل لهم السعادة والهناء، وليس فى أموالهم ما ينهض بتعليمهم تعليماً عالياً يسمون به وتسمو به أمتهم فإذا تركوا وشأنهم فى التناسل زاد عدد الأولاد وتكاثر، واشتدت الكارثة، وعجز أولياء أمورهم عن القيام بشئونهم تغذية وكسوة وتعليما على ما يرام، وعندئذ يعيشون عيشة لا يغبطون عليها، أما الطبقة الغنية والمتوسطة فإن أولادهم إذا زاد عددهم تفتت

ثروتهم وهبط مستواهم وضعفت إمكانياتهم، وبذلك تسوء حالهم وحال الأمة ويضعف شأنها وتتأخر علماً وإنتاجًا، وتعيش عيشة بؤس وشقاء، فلهذا وجب الحد من التناسل صيانة للأسرة مما يتهددها من خطر كثرة الأولاد، وإنقاذاً للأمة مما يتوقع لها من البلاء وشدة الأزمات.

المناقشة :

هذه الشبهة وليدة للشبهة الأولى وصنو لها، فيجاب عنها بما تقدم من المناقشة فيها ثم هى لا تزيد على أن تكون دعاية لتحديد النسل بتزيين الباطل، والتلبيس على الناس ليخدعوهم عن مقتضى فطرتهم السليمة التى فطرهم الله عليها، ويصدوهم عما هو مصدر سعادتهم، وما تتحقق به مصالحهم، ويحصل لهم به عوامل القوة والنماء والرخاء فإن الأولاد هم الأيدى العاملة وهم مصدر الثروة والنماء وزيادة الرخاء، فبكثرتهم تكثر الخيرات، ويزداد العمران فى الأرض، وتنهض الأمم فى جيشها وقوتها، وفى علمها واختراعها، وفى إنتاجها ورعايتها لجميع مرافق حياتها، وكثيراً ما وجدنا بيوتاً قد فتحت على أيدى الأولاد، وعمها الخير والرخاء، وكثيراً ما شاهدنا العلماء من أبناء الفقراء والطبقات المتوسطة، وأنهم نهضوا بأممهم وقاموا بمصالحهم وكانوا ملاك سعادتها وزهرة حياتها، وعنوانْ مجدها، فإن تخلف شىء من ذلك فهو من الفوضى والإهمال والتفريط لا من زيادة التناسل، ومن المعروف أن النهوض وليد الطموح ويقظة الناس وشعورها بالحاجة وقد يكون ذلك مع الغنى كما يكون مع الفقير وإذا فليست المشكلة من كثرة التناسل وزيادة الأولاد حتى يسعى فى حلها بتحديد النسل أو منع الحمل.

* * *

الرابع : زعموا أن تحديد النسل أو منع الحمل يحفظ للمرأة صحتها وجمالها، وأن تتابع الحمل والولادة وما يتبع ذلك من رعايتها لأولادها وقيامها بشئونهم ورعايتها لهم وسهرها على مصالحهم يهدم كيانها ويذهب قواها وجمالها، ويهدد حياتها الزوجية، فقد يزهد فيها زوجها فيطلقها أو ينصرف عنها إلى غيرها لسوء حالها واشتغالها عنه بأولادها.

المناقشة:

(أ) إن هذه الشبهة إنما يتشدق بها ويروج لها من طغت عليه شهوته الحيوانية، وانحرفت فطرته الإنسانية فلا هم له إلا الاستمتاع بزوجته وقضاء وطره منها ويفر من تكاليف الذرية وتحمل أعبائها، استجابة لدواعى الشهوة البهيمية، وإيثاراً لجانب اللذائذ الحيوانية التى لا تعدل فى نفس من سلمت فطرته من الناس أو تقارب إرواء عاطفة الأبوة والأمومة الكامنة فى أعماق النفوس وحياة القلوب.

(ب) إن عزل المرأة عن وظيفة الحمل والولادة التى هى من أجل ما خلقها الله لها يحدث فيها كبتا ويولد فيها عقداً نفسية، ويورثها بؤساً وكآبة تذهب بجمالها وحسن رونقها، وإذا استعملت لمنع الحمل أو إسقاطه العقاقير وأمثالها زادها ذلك هماً وضاعف آفاتها ومضارها.

ولا شك أن هذا الخطر يزيد على ما يذكره دعاة تحديد النسل فى شبهتهم عن المضار الناشئة عن كثرة الحمل والولادة، مع ما فى زيادة التناسل من النماء فى الإنتاج وزيادة وسائل المعيشة والنفع الخاص بالأسرة والعام للأمة، فأى الأمرين أحق بالحرص عليه والدعوة إليه.

قال الدكتور «الكسيس كارل» فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول»: إنه حتى هذه الأيام لم ينضج فكر الإنسان ولم يشعر على الوجه التام بما لوظيفة التوليد

من الأهمية فى حياة المرأة، إن قيام المرأة بهذه الوظيفة مما لا مندوحة عنه لكمالها القياسى، فما تحريف النساء عن التوليد ورعاية الطفل إلا حماقة شنيعة لا يقدم عليها عاقل.

وقال الدكتور «ازوالد شوارز» أحد علماء النفس فى كتابه «نفسية الجنس»: أى شىء يا ترى يدل عليه وجود الغريزة الجنسية فى الإنسان؟ ولأى غرض قد وضعت فيه؟

ومن الحقيقة التى لا غبار عليها أن هذه الغريزة إنما هى لإنجاب الذرية وتخليد النسل، إذ من القوانين الثابتة فى علم الأحياء أن كل عضو فى جسد الإنسان يجب أن يؤدى وظيفته الخاصة المستقلة حتى يحقق بذلك المهمة التى قد أسندت إليه.

وعلى هذا إذا منع هذا العضو من أداء وظيفته الخاصة فلابد أن تتعرض حياة الإنسان لمشاكل مرهقة متعددة، ومما يتعلق بهذا البحث أن جسد المرأة لم يخلق فى معظمه إلا لوظيفة الحمل والتوليد فهى إذا منعت أن تعمل لتحقيق هذه الوظيفة الأساسية لنظامها الجسدى والعقلى فلابد أن تذهب ضحية الاضمحلال والتذمر والعقد النفسية المتعددة.

وعلى خلاف هذا فإنها عندما تصبح أما تجد جمالاً جديداً وبهاء روحياً يتغلب على ما قد يعتريها من الضعف والاضمحلال بسبب وضع الطفل وإرضاعه.

وقال أيضاً:

إن كل عضو فى جسدنا يجب أن يقوم بوظيفته، وعلى هذا فإنه إذا حيل بينه وبين أن يقوم بوظيفته، فلابد أن يختل به التوازن فى نظامنا الجسدى.

إن المرأة ليست بحاجة إلى إنجاب ذرية لمجرد أن ذلك تقتضيه عاطفة

الأمومة التى قد فطرت عليها، أو لمجرد أنها ترى القيام بهذه الخدمة واجبا عليها، بناء على ضابط خلقى مفروض عليها، وإنما هى بحاجة إليها لأن نظامها الجسدى ما بنى كله إلا للقيام بها فهى إذا منعت أن تقوم بها فلابد أن تتأثر شخصيتها كلها بالانقباض والحرمان والهزيمة واليأس المميت .. اهـ.

إن الذين بدؤوا بالدعوة إلي منع الحمل أو تحديد النسل وروجوا دعوتهم بما تقدم من الشبه وأمثالها، جماعة لا يؤمنون بأن للعالم ربًا عليمًا خبيرًا بشئون عباده، حكيمًا فى تدبير أمورهم وتصريف أحوالهم ولا يرضون بشريعة الإسلام دينًا ولا بمحمد رسولاً.

فلا عجب أن يظنوا بالله الظنون الكاذبة، وأن يدخلوا تفكيرهم القاصر المحدود فيما هو من شأنه وحده، وأن يناقضوا شريعة الإسلام ويكونوا حرباً على مقاصدها.

ولا عجب أيضًا أن يسير فى ركابهم ويدعو بدعوتهم بعض جهلة المسلمين وأرباب الهوى منهم، فإن الجهل قتال يقذف بصاحبه فى لجج الضلال والهلاك وأن الهوى يعمى ويصم، وإنما العجب أن يناقضوا ما يدعون أنهم قتلوه بحثًا وأحاطوا به علمًا من نظريات الاقتصاد وأصول علم النفس وعلم الأحياء وتاريخ الأمم وما جرى عليها من أحداث.

* * *

ونختم الكلام على ما ذكروا من البواعث والدواعى لمنع الحمل أو تحديد النسل بذكر بعض دواع أخرى تقع قليلاً أو نادرًا فيحكم فيها بما يناسبها من الأحكام، فإنها تختلف عما تقدم فى أهدافها ومقاصدها وربما كان لمن ألمت به العذر فى منع الحمل أو تنظيمه.

١- قد يكون بالمرأة ما تتعذر معه الولادة العادية، فيخرج الولد بإجراء

عملية جراحية، وربما كان فى ذلك خطورة، كما أن تكرر ذلك خطر على المرأة وقضاء على حياتها.

ففى هذا يمكن أن يقال بوجوب منع الحمل أو المنع من تكراره، محافظة على حياة المرأة.

وذلك راجع إلى مقصد من المقاصد الضرورية الخمسة، وهو المحافظة على النفس.

ولكن من الواضح أن هذا وأمثاله ليس من تحديد النسل ولا من تنظيمه ولا يتفق معه فى الدواعى أو الغرض الذى ألجأ إليه، فلا يصح أن يخلط بينهما تلبيساً علي الناس.

ولا أن يحتج بمثل هذا على تحديد النسل أو منعه للدواعى الأخرى.

٢- وقد يضر المرأة تتابع الحمل لضعف بها أو مرض، ويقرر أهل الخبرة إن كان عليها من تتابعه خطورة، فلها أن تتخذ وسائل غير ضارة لتنظيم الحمل وتأخيره فترة من الزمن تستجم فيها، وتسترد نشاطها وقوتها.

ويرجع فيما تستخدمه من الوسائل لأهل الخبرة، مخافة أن تصاب بعقم أو مرض آخر من جراء استخدام الوسائل لتنظيم الحمل، وليس هذا من باب تحديد النسل، ولا فى معنى ما تقدم من منع الحمل للبواعث الأخرى التى اعتمد عليها دعاة تحديد النسل فلا مستند فيه لهم.

٣- وقد يظن الرجل أن وطأ امرأته وهى ترضع يضر بالولد، فيمتنع من ذلك محافظة على صحة الرضيع وحرصاً على سلامته، سواء قلنا تغير لبن المرأة وتضرر الرضيع بنفس الجماع أو بالحمل المتوقع منه فعلى تقدير أن ذلك يعتبر عذراً للرجل فى ترك الجماع أو للزوجة فى الامتناع منه فإنه ليس من باب تحديد النسل أو منعه، على أن النبى ﷺ هم أن ينهى عن الغيلة محافظة على

الرضيع ثم رجع عن ذلك وبين السبب.

روى أحمد ومسلم عن جذامة بنت وهب الأسدية قالت : حضرت رسول الله ﷺ في أناس وهو يقول :

«لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت إلى الروم فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم شيئًا ...» الحديث.

٤- ربما يحتاج الرجل إلى العزل عن أمته أو زوجته حرة أو أمة، وقد اختلف العلماء فى حكم ذلك اختلافًا كثيرًا.

فمنهم من حرم ذلك مطلقًا عن أمته وزوجته حرة أو أمة، ومنهم من أجازه مطلقًا.

وفرق جماعة بين الأمة والحرة، وفرق آخرون بين حالة الإذن وعدمه فأباحه فى الأولى دون الثانية.

وتفصيل الخلاف فى ذلك معروف فى كتب الفقه، ومنشؤه اختلاف العلماء فى فهم ما ورد فى ذلك من الأحاديث واختلافهم فيمن له الحق فى الوطء والولد ومن لا حق له فى ذلك.

ولما كان كلام ابن القيم مستوفيًا لتفصيل القول فى حكم العزل مع الأدلة والمناقشة اكتفينا بذكره هنا.

قال رحمه الله :

حكمه ﷺ فى العزل

ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد قال : أصبنا سبياً فكنا نعزل، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: « وإنكم لتفعلون؟» قالها ثلاثاً «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهى كائنة» .

وفى السنن عنه أن رجلا قال : يا رسول الله إن لى جارية وأنا أعزل عنها وأنا أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجال، وإن اليهود تحدث أن العزل المؤودة الصغرى.

قال: « كذبت يهود لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه».

وفى الصحيحين عن جابر : كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.

وفى صحيح مسلم عنه : كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا.

وفى صحيح مسلم أيضًا: عنه قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : إن عندى جارية وأنا أعزل عنها، فقال رسول الله ﷺ : «إن ذلك لا يمنع شيئًا أراده الله» .

قال : فجاء الرجل فقال : يا رسول الله إن الجارية التى كنت ذكرتها لك حملت.

فقال رسول الله ﷺ : أنا عبد الله ورسوله.

وفى صحيح مسلم أيضاً عن أسامة بن زيد أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، إنى أعزل عن امرأتى .

فقال له رسول الله ﷺ : « لم تفعل ذلك؟ ».

فقال الرجل : أشفق على ولدها أو قال على أولادها .

فقال رسول الله ﷺ : لو كان ضاراً ضر فارس والروم».

وفى مسند أحمد وسنن ابن ماجه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه «نهى رسول الله ﷺ أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها ».

وقال أبو داود : سمعت أبا عبد الله ذكر حديث ابن لهيعة عن جعفر ابن ربيعة عن الزهرى عن المحرر بن أبى هريرة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يعزل عن الحرة إلا بإذنها » فقال : ما أنكره.

فهذه الأحاديث صريحة فى جواز العزل. وقد رويت الرخصة فيه عن عشرة من الصحابة :

على ، وسعد بن أبى وقاص، وأبى أيوب، وزيد بن ثابت، وجابر، وابن عباس، والحسن بن على، وخباب بن الأرت، وأبى سعيد الخدرى، وابن مسعود، رضى الله عنهم.

قال ابن حزم: وجاءت الإباحة للعزل صحيحة عن :

جابر، وابن عباس، وسعد بن أبى وقاص، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، رضى الله عنهم ، وهذا هو الصحيح.

وحرمه جماعة منهم : أبو محمد بن حزم وغيره، وفرقت طائفة بين أن تأذن له الحرة فيباح، أو لا تأذن فيحرم.

وإن كانت زوجته أمة أبيح بإذن سيدها ولم يبح بدون إذنه. وهذا منصوص أحمد.

ومن أصحابه من قال : لا يباح بحال.

ومنهم من قال : يباح بكل حال.

ومنهم من قال : يباح بإذن الزوجة حرة كانت أو أمة ولا يباح بدون إذنها حرة كانت أو أمة.

فمن أباحه مطلقًا احتج بما ذكرنا من الأحاديث، وبأن حق المرأة في ذوق العسيلة لا في الإنزال.

ومن حرمه مطلقًا احتج بما رواه مسلم فى صحيحه من حديث عائشة عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة قالت : حضرت رسول الله ﷺ فى أناس فسألوه عن العزل .

فقال رسول الله ﷺ : «ذلك الوأد الخفى وهى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) ﴾ [التكوير].

قالوا : وهذا ناسخ لأخبار الإباحة فإنه ناقل عن الأصل.

وأحاديث الإباحة على وفق البراءة الأصلية وأحكام الشرع ناقلة عن البراءة الأصلية.

قالوا : وقول جابر كنا نعزل والقرآن ينزل فلو كان شيئًا ينهى عنه لنهى عنه القرآن.

فيقال : قد نهى عنه من أنزل عليه القرآن بقوله : « إنه الموءدة الصغرى».

والوأد كله حرام.

قالوا: وقد فهم الحسن البصرى النهى من حديث أبى سعيد الخدرى لما ذكر العزل عن رسول الله ﷺ قال : لا عليكمْ ألا تفعلوا . ذاكم إنما هو القدر».

قال ابن عون : فحدثت به الحسن فقال : والله لكأن هذا زجر.

قالوا: ولأن فيه قطع النسل المطلوب من النكاح وسوء العشرة وقطع اللذة عند استدعاء الطبيعة لها.

قالوا: ولهذا كان ابن عمر لا يعزل.

وقال: «لو علمت أن أحداً من ولدى يعزل لنكلته». وكان على يكره العزل.

ذكره شعبة عن عاصم عن زر بن حبيش عنه . وصح عن ابن مسعود أنه قال فى العزل: هو الموءودة الصغرى.

وصح عن أبى أمامة أنه سئل عنه ؟ فقال: ما كانت أرى مسلماً يفعله.

وقال نافع عن ابن عمر: «إن عمر ضرب على العزل بعض بنيه».

قال يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب: «كان عمر وعثمان ينهيان عن العزل» وليس فى هذا ما يعارض أحاديث الإباحة مع صراحتها وصحتها.

أما حديث جدامة بنت وهب فإنه وإن كان رواه مسلم فإن الأحاديث الكثيرة على خلافه.

وقل قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان حدثنا يحيى أن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان حدثه أن رفاعة حدثه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لى جارية، وأنا أعزل عنها، وأنا أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجال، وإن اليهود تحدث أن العزل الموءودة الصغرى.

قال: «كذبت يهود لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه».

وحسبك بهذا الإسناد صحة فكلهم ثقات حفاظ.

وقد أعله بعضهم بأنه مضطرب، فإنه اختلف فيه على يحيى بن أبى كثير.

فقيل : عنه عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن جابر بن عبد الله.

ومن هذه الطريق أخرجه الترمذى والنسائى.

وقيل فيه : عن أبى مطيع ابن رفاعة.

وقيل : عن أبى رفاعة.

وقيل : عن أبى سلمة عن أبى هريرة.

وهذا لا يقدح فى الحديث، فإنه قد يكون عند يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن جابر.

وعنده عن ابن ثوبان عن أبى سلمة عن أبى هريرة، وعنده عن ابن ثوبان عن رفاعة عن أبى سعيد.

ويبقى الاختلاف فى اسم رفاعة، هل هو أبو رافع، أو ابن رفاعة، أو أبو مطيع؟

وهذا لا يضر مع العلم بحال رفاعة.

ولا ريب أن أحاديث جابر صريحة صحيحة فى جواز العزل.

وقد قال الشافعى : ونحن نروى عن عدد من أصحاب النبى ﷺ أنهم رخصوا فى ذلك، ولم يروا به بأساً.

قال البيهقى : وقد روينا الرخصة فيه عن سعد بن أبى وقاص، وأبى أيوب الأنصارى، وزيد بن ثابت، وابن عباس وغيرهم. وهو مذهب مالك والشافعى وأهل الكوفة، وجمهور أهل العلم.

وقد أجيب عن حديث جدامة بأنه على طريق التنزيه، وضعفته طائفة، وقالوا: كيف يصح أن يكون النبى ﷺ كذب اليهود فى ذلك، ثم يخبر به كخبرهم؟ هذا من المحال البين.

وردت عليهم طائفة أخرى وقالوا: حديث تكذيبهم فيه اضطراب. وحديث جدامة فى الصحيح.

وجمعت طائفة أخرى بين الحديثين، وقالت: إن اليهود كانت تقول : إن العزل لا يكون معه حمل أصلاً. فكذبهم رسول الله ﷺ فى ذلك.

ويدل عليه قوله ﷺ : «لو أراد الله أن يخلقه لما استطعت أن تصرفه».

وقوله : «إنه الوأد الخفى».

فإنه وإن لم يمنع الحمل بالكلية، كترك الوطء، فهو مؤثر فى تقليله.

قالت طائفة أخرى : الحديثان صحيحان، ولكن حديث التحريم ناسخ.

وهذه طريقة أبى محمد بن حزم.

قالوا: لأنه ناقل عن الأصل، والأحكام كانت قبل التحريم على الإباحة ودعوى هؤلاء تحتاج إلى تاريخ محقق، يبين تأخير أحد الحديثين عن الآخر، وأنى لهم به ؟

وقد اتفق عمر وعلى رضى الله عنهما أنها لا تكون موؤدة حتى تمر عليها التارات السبع.

فروى القاضى أبو يعلى وغيره بإسناده عن عبيد بن رفاعة عن أبيه قال : «جلس إلى عمر: عليّ والزبير وسعد رضى الله عنهم فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذكروا العزل. فقالوا: لا بأس به . فقال رجل : إنهم يزعمون أنها الموؤدة الصغرى . فقال على : لا تكون موؤدة حتى تمر عليها التارات السبع، حتى تكون من سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظامًا، ثم تكون لحمًا، ثم تكون خلقًا آخر. فقال عمر: صدقت. أطال الله بقاءك».

وبهذا احتج على جواز الدعاء للرجل بطول البقاء.

وأما من جوزه بإذن حرة فقال : للمرأة حق فى الولد كما للرجل حق فيه، ولهذا كانت أحق بحضانته.

قالوا : ولو لم يعتبروا إذن السرية فيه، لأنها لا حق لها فى القسم، ولهذا لا تطالبه بالفيئة، ولو كان لها حق فى الوطء لطولب المولى منها بالفيئة.

قالوا : وأما زوجته الرقيقة فله أن يعزل عنها بغير إذنها، صيانة لولده عن الرق، ولكن يعتبر إذن سيدها، لأن له حقًا فى الولد، فاعتبر إذنه فى العزل كإذن الحرة، ولأن بدل البضع يحصل للسيد كما يحصل للحرة، فكان إذنه فى العزل كإذن الحرة.

قال أحمد فى رواية أبى طالب : وفى الأمة إذا نكحها: يستأذن أهلها، يعنى فى العزل، لأنهم يريدون الولد، والمرأة لها حق تريد الولد، وملك يمينه لا يستأذنها.

وقال فى رواية صالح وابن منصور وحنبل وأبى الحرث والفضل بن زياد والمروذى : يعزل عن الحرة بإذنها، والأمة بغير إذنها يعنى أمته.

وقال فى رواية ابن هانىء :إذا عزل عنها لزمه الولد، قد يكون الولد مع العزل.

وقد قال بعض من قال : ما لى ولد إلا من العزل.

وقال فى رواية المروذى فى العزل عن أم الولد : إن شاء. فإن قالت : لا يحل لك، ليس لها ذلك .. اهـ.

ومهما يكن من الاختلاف فى حكم عزل الرجل عن زوجته حرة أو أمة أو عزله عن سريته من الإباحة مطلقًا أو المنع مطلقًا أو إباحته مع الإذن ومنعه

بدونه فليس من باب تحديد النسل، فإنه إن كان بالنسبة للأمة إنما كان خشية أن تحمل منه وهو يكره أن يكون له منها ولد أو خشية أن تصير أم ولد وهو فى حاجة إلى خدمتها أو ثمنها كما هو واضح من الأحاديث المتقدمة، وأما بالنسبة للزوجة فقد يكون للمحافظة على رضيعها، وقد يكون خشية أن تحمل وهى مريضة أو ضعيفة فيضرها الحمل أو يضرها تتابعه،

وقد يكون لأسباب أخرى دعتهم إلى ذلك غير أنها ليس منها تحديد النسل، لسلامة فطرهم وقوة توكلهم على الله، وثقتهم به ومزيد حبهم للنسل ورغبتهم فيه، فلا يفعلون ما يناقض فطرهم وما تهواه قلوبهم من الذرية ولا يخوضون فى شئون المستقبل وما يكون فيه من غبن وفقر ولا يتشاءمون منه ولا يظنون بالله الظنون.

وبالجملة : ما عهد فيهم من الاعتصام بالدين وحسن الظن بالله ليبعدهم كل البعد عن القصد إلى العزل من أجل تحديد النسل.

وعلى هذا لا حجة فيما ذكر من الأحاديث لمن تعلق بها ممن يرون تحديد النسل.

٤- وسائل تحديد النسل

وبيان مضارها

لتحديد النسل ومنع الحمل وسائل عديدة، منها الرهبنة وترك الزواج، وكبت النفس وحبسها عن الجماع، والإجهاض (إسقاط الحمل) أو وضع اللبوس فى الفرج، وتعاطى العقاقير، ونحوها مما يمنع الحمل أو يقضى عليه بعد وجوده.

ولكل من هذه الوسائل آثار سيئة وعواقب وخيمة، وفيما يلى بيان شىء من ذلك :

(أ) انتشار جريمة الزنا وانتهاك الحرمات، فإن الذى يردع الإنسان ويقف به عند حده :

خوفه من الله أولا : وقد ذهب ذلك بالإلحاد، أو ضعف الوازع الدينى.

وخوفه من العار ثانيا : وقد ذهب ذلك بانتشار وسائل منع الحمل وتحديدالنسل، حيث أمنت المرأة من الحمل وعرفت طريق التخلص منه باستعمال هذه الوسائل فاجترأت هى ومن يهواها على قضاء الوطر وإشباع الغريزة الجنسية دون خوف أو حياء.

(ب) انتشار الزنا سبب لانتشار الأمراض الخبيثة كمرض الزهرى والسيلان، وهما من أفتك الأمراض وأشدها خطراً على حياة الناس.

(جـ) انتزاع جلباب الحياء وفساد الأخلاق وضياع الأنساب وضعف الروابط بين الأسر، وبذلك تعم الفوضى ويكثر الهرج والمرج ويشتد البلاء.

(د) نقص الأيدى العاملة وكثرة العجزة والعجائز لقلة التناسل والوقوف به عند غاية، وبذلك يقل الإنتاج وتنقص وسائل المعيشة وتشتد الأزمات وتضعف سيطرة الأمة وقوة الدفاع عنها.

(هـ) ضعف العلاقة الزوجية بين الزوجين لعدم الأولاد أو قلتهم باستعمال وسائل تورث العقم ابتداء أو تقف بالتناسل عند حد، فإن الأولاد تقوى بهم أواصر المحبة والوئام بين الزوجين ويضطر كلا منهما علي الصبر علي متاعب الحياة الزوجية وتحمل ما قد يصدر من أحدهما للآخر من الأذى وتعكير الصفو، فإذا لم تكن بينهما هذه الروابط ضعفت عرى الزوجية أو انحلت وكثرت وقائع الطلاق، ودب دبيب الشر والفساد بين الأسر، وفى ذلك ضعف المجتمع وفساده.

(و) فى الرهبانية كبت للنفس وخروج بها عن فطرتها ومقتضى ما أودع

فيها من الغرائز، وهذا مما يورثها ضيقاً وقلقًا وأمراضًا عصبية وتبرمًا بالحياة، ولهذا وغيره نهى النبى ﷺ عن التبتل.

(ز) سقوط الرحم وحدوث أمراض أخرى تكاد تفتك بالمرأة من جراء إسقاطها الحمل تخلصاً من النسل أو من كثرته.

وقد ذكر كثير من الأطباء وعلماء النفس مضار وسائل منع الحمل وتحديد النسل إجمالاً وتفصيلاً.

من ذلك ما جاء عن الدكتور كلير فولسوم، قال: ليست عندنا حتى اليوم أية وسيلة سهلة أو رخيصة، غير ضارة، يمكن استخدامها لتحديد النسل.

ولما تقدم وغيره من المضار قام كثير من الأطباء وعلماء النفس فى دولهم بدعوة مضادة وحذروا الناس من استعمال وسائل منع الحمل وتحديد النسل، وشرحوا لهم مضار ذلك علماً وتجربة واستجابت لهم حكوماتهم فحظرت الاتجار فى هذه الوسائل، وأعطت المكافأة علي كثرة النسل ورفعت الضرائب عمن كثرت أولادهم وفرضت العقوبات على من ثبت عليه استعمال هذه الوسائل أو الاتجار فيها أو الترويج لها والدعاية لاستعمالها.

٥- الحكم مع الدليل

تبين مما تقدم أن ما ذكره الدعاة إلى تحديد النسل أو منع الحمل من البواعث التى اعتمدوا عليها فى ترويج ذلك والدعاية له لا تصلح مبرراً له بل هى غير صحيحة لمناقضتها الواقع ومنافاتها مقتضى الفطرة والإسلام.

وتبين أيضًا أن تحديد النسل أو منع الحمل بأى وسيلة من الوسائل مضاراً كثيرة دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية وجسمية.

وعلى هذا يكون تحديد النسل محرمًا مطلقًا ويكون منع الحمل محرمًا إلا

فى حالات فردية نادرة لا عموم لها كما فى الحالة التى تدعو الحامل إلى ولادة غير عادية ويضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد.

وفى حالة ما إذا كان على المرأة خطر من الحمل لمرض ونحوه، فيستثنى مثل هذا منعًا للضرر وإبقاء على النفس، فإن الشريعة الإسلامية جاءت بجلب المصالح ودرء المفاسد وتقديم أقوى المصلحتين وارتكاب أخف الضررين عند التعارض.

وقد أقنع دعاة تحديد أو تنظيم النسل أكثر حكام المسلمين بهذه الدعوة الباطلة وحرضوا الحكام والمجالس التشريعية على سن القوانين من لا يلتزم بتحديد النسل بولد أو اثنين على الأكثر .

وفى حالة مثل حالة الشعب المصرى فإن علماء الجغرافيا يقولون إن الشعب المصرى يعيش على مساحة تتروح بين ٣ و ٥٪ من مساحة أرض مصر.

فإذا قلنا إن الدول الغربية لا تنادى بدعوة تنظيم أو تحديد النسل قالوا إن هذا يناسبهم ، هل زيادة النسل تناسب الدول الغربية ولا تناسب الدول العربية والإسلامية ؟ أليست القوة العددية والبشرية مما يحسب له حساب ؟

لقد صرح الصهاينة بحقدهم على المسلمين لكثرة نسلهم فقالوا : إنهم يتكاثرون كالدود .

قرار رقم ٤٢ وتاريخ ١٣/ ٤/ ١٣٩٦هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

ففى الدورة الثامنة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة فى النصف الأول من شهر ربيع الآخر عام ١٣٩٦هـ بحث المجلس موضوع منع الحمل وتحديد النسل وتنظيمه.

بناء على ما تقرر فى الدورة السابعة للمجلس المنعقد فى النصف الأول من شهر شعبان عام ١٣٩٥هـ من إدراج موضوعها فى جدول أعمال الدورة الثامنة.

وقد اطلع المجلس على البحث المعد فى ذلك من قبل اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، وبعد تداول الرأى والمناقشة بين الأعضاء والاستماع إلى وجهات النظر قرر المجلس ما يلى:

نظراً إلى أن الشريعة الإسلامية ترغب فى انتشار النسل وتكثيره وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة منَّ الله بها علي عباده فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله مما أوردته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فى بحثها المعد للهيئة والمقدم لها.

ونظراً إلى أن دعاة القول بتحديد النسل أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين بصفة عامة وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة حتى تكون لهم القدرة على استعمار البلاد وأهلها.

وحيث إن فى الأخذ بذلك ضرباً من أعمال الجاهلية، وسوء ظن بالله

تعالى، وإضعافًا للكيان الإسلامى، المتكون من كثرة اللبنات البشرية وترابطها.

لذلك كله :

فإن المجلس يقرر بأنه لا يجوز تحديد النسل مطلقًا ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها.

أما إذا كان منع الحمل لضرورة محققة ككون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره عملاً بما جاء فى الأحاديث الصحيحة وما روى عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم من جواز العزل.

وتمشيًا مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين، بل قد يتعين منع الحمل فى حالة ثبوت الضرورة المحققة.

وقد توقف فضيلة الشيخ عبد الله بن غديان فى حكم الاستثناء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

أين مقاصد الزواج فى الزواج العرفى

شرع الله الزواج ليحقق أهدافًا اجتماعية ومقاصد مُثلى منها: إقامة الحياة الآمنة والمطمئنة بين الزوج وزوجته القائمة على السكينة والمودة والرحمة.

ويتحقق من خلاله إشباع الغرائز بطريق مشروع، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم].

والزواج الذي تريده الشريعة الإسلامية هو الزواج الذى يؤتى ثماره بإنجاب الأولاد واستمرارًا للحياة وإعمارًا للأرض لقول الرسول ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة».

فأين هذه المقاصد من الزواج العرفى؟

أين السكينة فيه والطمأنينة؟

أين المودة والرحمة؟

وأين الأبناء والبنات؟

صورة حيوانية

ليس فى الزواج العرفى مقاصد الزواج السامية سوى إشباع الغريزة بصورة حيوانية أشبه بالزنا والسرقة والاغتصاب حيث يلتقي الرجل والمرأة أو الشاب والفتاة فى خفية أو ظلام ويفترقان فى خفية وظلام يتوجسان من أية حركة ويرتعدان من أى صوت لأنهما يحسان أنهما يرتكبان جريمة لا زواجاً.

فما أبعد الزواج العرفى من اطمئنان النفوس ومقاصد الزواج الشرعية وما أقربه من حيث مقاصده إلى نكاح المتعة.

فالهدف فى كليهما واحد وهو المتعة بالمرأة أو الفتاة بعضًا من الوقت ثم تركها والهرب منها بعد تمزيق العقد العرفى دون السعى لتكوين أسرة وإنجاب أولاد.

أين توثيق العقد

فى الزواج العرفى

الزواج العرفى يفتقد عنصر التوثيق أى أنه غير موثق رسمياً على يد مأذون شرعى ولم يتم تسجيله فى محكمة الأحوال الشخصية ولا فى الشهر العقارى.

ويترتب على افتقاد الزواج العرفى لعنصر التوثيق ضياع كافة حقوق الزوجة الشرعية والقانونية من هذا الزواج.

فلا حق للزوجة فى المهر ولا فى النفقة ولا فى الإرث.

وقد أكد المشرع المصرى على أهمية توثيق عقد الزواج حفاظًا وحماية لحقوق الزوجة الشرعية حيث نصت المادة ٩٩ الفقرة الرابعة من اللائحة الشرعية الصادر عام ١٩٣١م علي أنه لا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية.

رأى مفتى الديار المصرية

يقول الدكتور نصر فريد واصل- مفتى الديار المصرية - :

إن اعتماد البعض على مذهب الأحناف المعمول به حاليًا فى قانون الأحوال الشخصية والذى يرى أن عقد الزواج العرفى عقد زواج شرعى وإن كان غير موثق فإن ذلك كان صحيحاً فى الأزمنة والأوقات التى تحققت فيها الأمانة بين الناس ولم تنكر هذه العقود وكان يتم الإشهار عليها عند طلب الشهادة إلا أن الأمر قد تغير الآن بعد أن ضعفت النفوس وقل الوازع الدينى لدى غالبية الناس وظهرت كثير من المفاسد فيما يتعلق بإنكار عقد الزواج وإنكار النسب وضياع حقوق الزوجة بسبب عدم توثيق عقد الزواج.

وحيث أن التشريع الإسلامى إنما جاء لصالح الناس بما يوافق الزمان والمكان فإن دار الإفتاء المصرية قد أصدرت فتوى بحرمة الزواج العرفى الذى لا تتوافر فيه أركان وشروط الزواج الشرعى : الولى، الشهود العدول، الإعلان والإشهار.

والذى يفتقد لعنصر التوثيق وما يترتب عليه من ضياع حقوق الزوجة وأولادها.

أهمية توحيد الفتوى

فإن توحيد الفتوى بشأن الحكم الشرعى للزواج العرفى يعتبر مسألة مهمة وضرورة ملحة حتى لا يتخذ الشباب المراهق من طلاب وطالبات الجامعة تعدد وتضارب الفتوى واختلاف العلماء حول أحكام الحل والحرمة فى الزواج العرفى ذريعة ومبرراً شرعياً للإقدام على هذا الزواج.

وحيث أن دار الافتاء المصرية قد أصدرت أخيراً فتوى بحرمة الزواج العرفى لافتقاره أركان وشروط الزواج الشرعى، وأيدها فى ذلك كبار العلماء فإنه يتعين علينا تعميم ونشر هذه الفتوى من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال الدعاة وخطباء المساجد حتى يعلم شبابنا فى الجامعة علي وجه الخصوص حقيقة هذا الزواج والحكم الشرعى الصحيح له.

التعرف على الأسباب التى ساعدت على انتشار الزواج العرفى

وعن الزواج العرفى وضرورة التعرف على الأسباب التى ساعدت على انتشاره بين الناس فى هذه الأيام، وهل هذه الأسباب هى : الجهل بأمور الدين، أم حرمان الزوجة من المعاش فى حالة وفاة الزوج الأول، أم صعوبة الزواج من

الثانية واشتراط معرفة الزوجة الأولى، أم هى الفتن المحيطة بالشباب وخاصة فتنة النساء؟!

إن التعارض بين الأمور الفطرية وبين نظام العلاقات الاجتماعية يؤدى إل كثير من المفاسد، وقد جاء الشرع ليضع النظام الذى يتوافق مع الفطرة، فالله جلت قدرته قد جعل الرجل يميل للمرأة، والمرأة تميل للرجل، وتنظيمًا لهذا الميل أمر الله بالزواج، وشرعه ونظمه، ورب العزة سبحانه وتعالى جعل فى المرأة غيرة فطرية، هذه الغيرة تنتظم بها العلاقات لتبقى حريصة على بيتها، وهذه الغيرة أمر فطرى أمر الشرع الرجل إذا عدد الزوجات أن يعدل بينهن.

وبين أن هناك عدل غير مستطاع وهو عدل فى الميل القلبى، وعدل مطالب به كل من عدد الزوجات، وهو عدل فى المبيت والنفقة.

وقد جاء الشرع ليجعل للمرأة الحق فى الزواج إذا بلغت ولا يفرض عليها زوجا بعينه، ولكن النظام الوضعى جاء ليرفع سن البنت، بدلاً من أن تتزوج فى الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمرها، وهو بدء البلوغ ليرفع السن الذى يسمح لها بالزواج إلى ما فوق العشرين.

وقد جاء الشرع متجاوبًا مع الفطرة فى أن المرأة تحمل وتحيض وتصل إلى سن اليأس فى سن قريب، فأذن للرجل فى تعدد الزوجات.

فجاء النظام الاجتماعى ليجعل من تعدد الزوجات عيبًا وعارًا، وجعل المرأة تسير وراء شيطانها فيحمسها ويجعلها ترفض تعدد الزوجات، مع أنه من أهم أسباب تكريم المرأة، فأيام أن كان تعدد الزوجات منتشرًا كانت المرأة عزيزة لا ترضى ذُلاً في بيت ولا شيمًا فيه، فكانت تعرف أن الرجل إذا طلقها فسوف تدخل إلى بيت سواه !!

أما اليوم فإن المرأة تشكو الضيم فى بيت زوجها، ويقول لها الجميع :

اصبرى وتحملى، لأنها إن خرجت من بيت زوجها فأين تذهب، وليس هناك تعدد زوجات، وتعامل المطلقة على أنها قد أذنبت، وينظر إليها المجتمع نظرة مشينة، وعلى الجانب الآخر فإن الرجل يرى أن ابنته لابد أن تعمل وأن تتكسب، فيبحث عن بلوغها إلى درجة علمية، سواء كان ذلك مؤهل عال أو فوق ذلك، وكلما علت المرأة فى درجتها العلمية كلما ضاقت فرصة الزواج لها.

فالمرأة الأمية يمكن أن تتزوج أى إنسان، لأن الرجل عادة ينظر إلى الزواج ممن هى أدنى منه فى الدرجات العلمية، لأن المرأة إذا بلغت حدًا فى الثقافة فحصلت على مؤهل عال كالهندسة أو الطب أو الصيدلة، ففى هذه الحالة لابد أن تتزوج ممن هو فى مستواها.

إذًا ضاقت فرصة الزواج بها، بتضييق من يرغب فيها، ونجد فى الطرف الآخر أنه تتسع دائرة الزواج عند الرجل عندما تعلو درجته العلمية وقدرته المالية.

فيوجد ذلك نتائج .. منها : ارتفاع معدل العنوسة، وارتفاع سن الزواج.

مكمن الخطورة

إن مكمن الخطورة فى الزواج العرفى، أو الذى يسمونه عرفيًا وهو ليس عرفيًا، لأن العرف هو ما تعارف عليه المجتمع.

فيمكن للمرأة التى مات عنها زوجها أن تتزوج زواجًا عرفيًا، بمعنى أن يأتى الأهل ويجتمعوا جميعًا ويتم الزواج، ويكتبوا ورقة الزواج العرفى، ويعيشوا حياة طبيعية.

ولكن عندما تأتى الطالبة الجامعية وتتزوج بعيداً عن الأهل، ويكون ذلك من أشد المصائب إذا حملت وأتاها ولد، وأبواها لا يعرفان شيئاً عما فعلت، خاصة

أننا نستند فى قانون الأحوال الشخصية إلى رأى مرجوح بجواز عقد الزواج بدون إذن الولى، فتكمن الخطورة فى هذه النقطة، ونجد شباب الجامعات ينفسون عن رغباتهم الفطرية بهذا الزواج، فيجدون فرصة الزواج عن طريق ورقة يكتبونها ويؤتى بشاهدين، ويتواصيان على الكتمان وألا يذكر أحد منهم شيئًا من ذلك، وهذا فى رأيى مكمن الخطر فى الزواج العرفى.

وعلى هذا يكون هذا الزواج ليس زواجًا أصلاً، لا عرفى ، ولا شرعى، ولا رسمى، لأنهم أهملوا الولى، وتواطئوا على الكتمان ولم يشهدوا، ولم يثبت حد الاكتفاء بشاهدين، وهذا يعنى أن الإشهار أعلى من معرفة اثنين، فالإشهار ضرب دف وغناء بين النساء واحتفال واجتماع الناس، حتى يعرف الجميع أن هناك زواج فلانة بفلان، ولكن أن يجلس اثنان فى غرفة فليس هذا بإشهار.

ومن المعروف أن هذه الصورة من الزواج العرفى تتم بدون الولى وفى غيابه، وبالتالى تقع الكوارث، وحتى عند اللجوء للمأذون الشرعى وتسجيل العقد، فإن العقد بهذه الكيفية يصبح محل شك كبير، لأن رب العزة سبحانه قال :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ ﴾ [المائدة].

والخدن : هو أن يزنى الرجل بامرأة بعينها وتزنى به.

ورب العزة سبحانه يقول : ﴿ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ فهذا الذى يسمونه بالزواج العرفى والذى يحدث بين الشباب، بدون علم أولياء الأمور، فإن لم يكن

هذا هو الخدن بعينه فهو أقرب منه للخدن.

وهو بعيد تماماً عن الزواج ومقاصده الشرعية، بل ومقاصده الاجتماعية والعرفية، ولكن هل يمكن الحكم على الزواج العرفى بكل أنواعه بالحرمة حتى إذا توافرت فيه أركان الزواج.

سؤال جواب فى العلاقة الزوجية

س ١: هل هناك و صفات لعلاج سرعة القذف ؟

ج ٢: نعم ، وأذكر لك بعض الوصفات الآتية :

– يحمر بصل أبيض فى سمن بقرى ثم تكسر عليه ٧ بيضات ويرش عليه قليل من الملح مع الفلفل الأسود ويؤكل بخبز قمح أو شعير.

– يمسح بعض الرجلة أو الكزبرة الخضراء أو الخيار الركبة مع تجنب النوم على الظهر والتزام النوم علي الجنب الأيمن ويمسح العضو كذلك بالرجلة أو الكزبرة الخضراء وقبل المباشرة يدهن العضو والخصيتين بماء الورد الممزوج بزيت الكافور ثم يغسل.

– أكل صفار البيض البلدى قدر سبع حبات بالبصل والسمن البلدى كالعجة.

س ٣: هل الارتخاء له و صفات علاجية ؟

ج ٣ : نعم ، وأذكر لك بعضا منها :

– يؤخذ بذر تقاوى فجل (حديد) ويطحن بعد تنظيفه وغسله ويعجن فى عسل نحل بلدى (أى بغذاء الملكات) ويؤكل صباحاً ومساءً بعد الأكل قدر ملعقة.

- يدهن العضو بدهن البلسان وذلك قبل النوم يومياً لمدة شهر دون ممارسة مع الإكثار من شرب نقيع الحمص.

- يعصر عروش الجزر الخضراء ، وذلك بتقطيعها كالسلطة، وتضرب فى كمية من العسل مع الماء فى خلاط، وتشرب كالعصير، فى أى وقت شئت.

س ٤ : وهل لعلاج العقم من و صفات :

ج ٤: الو صفات :

- يؤخذ بذر جرجير وبذر كرفس وبذر خس وفلفل أسود وحبة سوداء وزنجبيل بمقادير متساوية مع كل ملعقة كبيرة ويطحن جميعاً ويعجن فى عسل وتؤخذ ملعقة يومياً على الريق.

- الإكثار من أكل القمح البلدى (كالبليلة) ويدش وتصنع منه شربة كشربة الشوفان يومياً مع الإكثار من أكل البيض البلدي والخس والجزر وشرب اللبن.

- كوب من الحبة السوداء المطحونة.

- كوب من حسب الرشاد الناعم.

- ثلثى كوب من الحلبة المطحونة.

- ربع كوب من المرة الناعمة.

- تخلط المقادير السابقة مع بعضها جيداً وتحفظ في إناء جاف فى الثلاجة.

- تؤخذ يومياً ملعقة متوسطة من الخليط السابق، يضاف إليها ملعقة كبيرة من عسل النحل، ويضاف إليها أنبوبة من غذاء ملكات النحل، يتم بلع العيجنة بقليل من الماء قبل الإفطار بربع ساعة.

- ثم يشرب بعدها كوباً من الحليب الطازج مع إضافة ملعقة كبيرة من شراب الشعير المحلى بالعسل إليه.

- يستمر العلاج لمدة أربعين يوماً.

- وثم وصفات أخرى كثيرة.

س ٥: لخص لى من فضلك آداب الجماع بين الزوجين ؟

ج ٥ : الدعاء المأثور (بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا).

- الملاطفة والمداعبة والملاعبة.

- الجماع.

- لا يطلع عليكما أحد ولا يسمع حسكما.

- لا يعاجل الرجل امرأته حتى تفرغ من شهوتها.

- لا يصح إفشاء شيء مما يدور من الكلمات والأفعال أو غيرها مما يتعلق بالجماع خارج غرفة النوم.

- إذا أردت أن تعود مرة أخرى للجماع فى نفس الليلة فتوضأ وضوءك للصلاة فإنه أنشط.

- جواز نظر الرجل إلي عورات زوجته وكذلك العكس، واللمس كذلك.

س ٦ : هل صحيح أن تعدد مرات الجماع فى الليلة الواحدة يؤدى إلى حمل التوائم ؟

ج ٦: هذا خطأ، ويندر حدوثه، فالمبيض لدى الأنثى لا يفرز سوى بويضة واحدة فى الشهر ومن النادر أن يفرز أكثر منها.

س ٧: هل كثرة المعاشرة الزوجية تعمى القلب والبصر؟

ج ٧ : هذا غير صحيح إلا إذا كان الشخص أصلا مصاباً بمرض فى القلب أو الصدر.

أما الشخص الطبيعى السليم فلا تضره إذا كانت فى الحدود المعقولة وفى حدود احتماله.

س ٨ : ما رأيكم فى المنشطات والدهانات فى الجماع ؟

ج ٨ : أضرار هذه المنشطات والدهانات أكثر من نفعها فاحذر منها.

س ٩ : متى يجب الامتناع والتوقف عن الجماع ؟

ج ٩ : فترة الحيض (الدورة الشهرية).

- النزيف المهبلى لأى سبب من الأسباب.
- عدم وجود إفرازات مهبلية لدى الزوجة، وهو دليل على وجود التهابات لدى المرأة فتسرع لمعالجة نفسها.
- وجود قطرات من الدم أثناء الحمل، وهذا يعرف بالإجهاض المنذر
- الفترة الأولى من الحمل (٣شهور) يتم الإقلال من الجماع على قدر المستطاع.
- الشهر الأخير من الحمل، حتى لا تكون هناك ميكروبات داخلة إلى الجهاز التناسلى للمرأة.
- فى الحالات المرضية عامة حتى لايتم نقل المرض من أحد الطرفين للآخر.

س ١٠: ما هو سن اليأس عند الرجل والمرأة ؟

ج ١٠: سن اليأس عند المرأة عندما يتوقف الحيض (الدورة الشهرية) تدريجيا حتى ينقطع تماما وهذا فى الغالب يكون فى العقد الخامس من عمر المرأة، وعندها ينعدم الإنجاب. (يكون فى الغالب فى سن ٥٨ سنة)

– أما عند الرجل فالأمر يختلف إذ يحدث هبوط تدريجى فى الوظيفة الهرمونية للخصية بحكم التقدم فى السن.

– إن قدرة الرجل على إنتاج الحيوانات المنوية لا تتوقف أبداً طيلة حياته، وتصاب بالضعف والوهن من تقدم السن.

س ١١: نرجو إلقاء الضوء على أمراض الخصية :

ج ١١: نقص النمو (مرض الغدة النخامية – قلة إفرازها– عدم نزول الخصية إلى الصفن – احتجازها فى تجويف البطن وهو مما يعرف بالخصية المعلقة).

– الدوالى (القيلة المائية).

– النكاف الوبائى (حدوث التهاب الخصية – الفيروس – التهابات بالخصية دون ورم ظاهر بالغدة النكافية).

– الالتهابات الصديدية وأغلبها يكون فى البربخ وقد يشمل الخصية ذاتها.

– الإصابات المختلفة والصدمات .

س ١٢: لماذا يصـــاب بعض الناس بالملل من المعـــاشـــرة الزوجية؟

ج ١٢: لزوم روتين معين فى الجماع.

- تحديد يوم ثابت لا يتغير.
- تحديد ساعة معينة لا تتغير.
- الطقوس الثابتة قبل الجماع وأثنائه.
- عدم وجود العاطفة الدافئة بين الزوجين.
- التعالى والكبر بين الزوجين.
- المشاكل الزوجية عامل أساسى.

س ١٣ : هل الإسراف فى المعاشرة الزوجية يعد مذموما؟

ج ١٤: **الاعتدال فى كل شىء أفضل من الإفراط فيه ....، والاستغراق فى** ممارسة الجماع يوميًا أو لأكثر من مرة فى اليوم فهذا يؤدى إلى إرهاق الزوجين، ولا يمكن أن يدوم مثل هذا المعدل وخاصة عند تقدم السن.

س ١٥: نسمع كثيرا أن الإفراط فى الجماع خطر على بعض المرضى فما رأيكم ؟

ج ١٥: هذا صحيح، وللفائدة أذكر لكم بعض هؤلاء المرضى :

- مرضى القلب.
- مرضى الذبحة الصدرية وجلطة الشريان التاجى.
- مرضى الجهاز التنفسى والربو.
- مرضى هبوط الكبد وتليفه.
- مرضى هبوط الغدة الدرقية أو الغدة فوق الكلوية أو الغدة النخامية.
- مرضى السكر.

س ١٦: يشكو بعض الرجال من وجود آلام أثناء الجماع :

ج ١٦: آلام الرجل أثناء الجماع ترجع لأسباب خارجية وأسباب داخلية.

أولا : الأسباب الخارجية الظاهرة :

- زيادة حساسية رأس العضو.

- أعوجاج العضو الذكرى (وقد يكون بسبب ممارسته للعادة السرية قديمًا- أو مصاب بضربة مفاجئة فى العضو ... إلخ).

ثانيا : الأسباب الداخلية :

- ألم فى الخصيتين.

- ألم البروستاتا (التهابها الشديد - أو تضخمها- أو إصابتها بمرض الزهرى).

س ١٧ : أيضا تشكو بعض النساء من آلام أثناء الجماع :

ج ١٧ :أسباب هذه الآلام ترجع لأسباب منها :

- وجود جروح سطحية تحت الشفرين أو تمزقات فى فتحة المهبل (نتيجة عسر الولادة) أو لأسباب أخرى.

- التهاب البظر (لعدم النظافة - أو خطأ فى عملية الختان - أو ممارسة العادةالسرية).

- التهاب قناة المهبل (فى الغالب لعدم النظافة).

- ضعف الإفرازات المهبلية، لأن كثرتها تعمل على تليين قناة المهبل، وتسهيل الإيلاج.

- التهاب المثانة أو الحالبين أو المستقيم أو المبيض وقناتى فالوب.

س٨ ١ : ماهى أسباب نفور الرجل من زوجته عند الجماع ؟

ج ٨ ١: لأسباب كثيرة منها :

- انبعاث رائحة كريهة من المهبل.
- رائحة النفس الكريهة.
- روائح الأكل مثل : البصل والثوم أو الطعام.
- الأظافر المتسخة .
- غزارة شعر الإبط والعانة.
- الملابس الرديئة.
- الإفراط فى الزينة والمكياج.
- اتساخ السرة (لوجود أتربة وقاذورات حولها).
- رائحة العرق (لعدم الاستحمام قبل المعاشرة).
- اتساخ الأسنان وتجمع بقايا الطعام حولها.
- التوجه من المطبخ إلى الفراش مباشرة .

س ٩ ١: هل عندكم كلمات مختصرات عن الزواج ؟

ج ٩ ١ : الزواج سنة الله فى الكون.

- الزواج سكن ومودة ورحمة.
- الزواج من سنن الفطرة.

- الزواج طريق الحلال والعفة.

- الزواج ضرورة لا محيص عنها ولا مفر.

- الزواج أقوم طريق لإشباع الغرائز.

- الزواج يحفظ الفروج والأعراض.

- الزواج يحمى الإنسان من القلق والاضطراب.

- الزواج أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد.

- الزواج تكثير للنسل واستمرار الحياة.

- الزواج تكامل عاطفة الأبوة والأمومة.

- الزواج ترابط الأسرة، وتقوية أواصر المحبة بين أبناء المجتمع.

- الزواج يدفع الزوجين إلى العمل والنشاط.

- الزواج حماية الأخلاق والأبدان.

- الزواج بناء مجتمع متماسك متآزر.

- الزواج دفء وراحة ومتعة.

- الزواج سبيل لبقاء النوع الإنسانى.

- الزواج يحمى الإنسان من الأمراض البدنية والأخلاقية.

- الزواج نعمة من نعم الله علينا تستوجب الشكر.

- الزواج عند المسلمين عبادة.

- الزواج يترتب عليه حقوق وواجبات.

- الزواج هو السبيل الشرعى الوحيد لبناء الأسرة المسلمة.

- الزواج حصن للشباب من الانحراف.
- الزواج نهت السنة عن تركه وعن الترهب واعتزال النساء.
- الزواج يكون بولى وشاهدى عدل.

وأخيرا : النساء شقائق الرجال.

س ٢٠ : من فضلك لخص لنا المحرمات فى النكاح :

ج ٢٠: الأمهات. - البنات - الأخوات
- العمات - الخالات.
- بنات الأخ - بنات الأخت.
- أم الزوجة. - زوجة الأب.
- بنت الزوجة (إذا دخل بها) - زوجة الابن.
- الجمع بين الأختين - الجمع بين المرأة وعمتها.
- الجمع بين المرأة وخالتها.
- المحرمات من الرضاع :
- الأم المرضعة.
- الأخت المرضعة.
- كل امرأة تحرم من النسب يحرم مثلها من الرضاع.
- نكاح المتعة حرام.
- الزواج العرفى (الزواج السرى) باطل إذا لم يتم بأركان الزواج.

س ٢١ : هل صحيح تراجع الزواج وإزدياد الطلاق فى مصر؟

ج ٢١: سجل الإحصاء الرسمى الآتى :

(٥١٣) ألف عقد زواج فى مصر خلال عام ٢٠٠١م.

(٥٧٩) ألف خلال عام ٢٠٠٠م.

(٥٢٠) ألف خلال عام ١٩٩٩م.

- وثائق الطلاق :

(٧٠) ألف خلال عام ٢٠٠١م.

(٦٨) ألف خلال عام ٢٠٠٠م.

(٧٤) ألف خلال عام ١٩٩٩م.

- وجود تسعة ملايين عانس وعزب فى مصر، مما ينذر بكارثة اجتماعية عنيفة. نسأل الله السلامة.

أسئلة الأطفال عن الجنس

س ١: ابنتى تسألني عن الحيض!

أماه .. ما هذا الدم ؟!

ج ١: لا تقلقى بنيتى، فقد صرت اليوم بالغة.

والبلوغ هو بدء ظهور علامات النضج، والأنوثة ومنها هذا التعب الذى تشعرين به، وتلك القطيرات التى شاهدتيها.

وقد بكت أم المؤمنين عائشة عندما حاضت وطمأنها النبى ﷺ بقوله :

«إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم». (البخارى - مسلم - أحمد - ابن خزيمة).

واعلمى بنيتى: أن هذا الدم له علامات مميزة، وهى :

(١) لونه أحمر يميل إلي السواد.

(٢) له رائحة كريهة أحياناً.

(٣) أقله يوم وليلة، وأكثره ١٥ يوما.

(٤) دمه ثخين، أى : (غليظ).

(٥) يخرج برفق ولا يسيل سيلاناً.

(٦) فى وجوده تتركى الصلاة والصيام.

(٧) تقضى الصيام ولا تقضى الصلاة.

(٨) لا تطوفى حول الكعبة أيضاً.

(٩) بعد انقطاع الدم تظهر القصة البيضاء وهى علامة الطهر، بعدها يلزمك الاغتسال الشرعى.

س ٢: وما هو الاغتسال الشرعى يا أماه ؟

ج ٢ :

(١) النية أولا وقبل الشروع فى الغسل.

(٢) الاستنجاء والتطهر للقبل والدبر

(٣) بسم الله، وتوضئى وضوءك للصلاة، مع ترك الرأس.

(٤) أفرغى الماء على رأسك.

(٥) أفرغى الماء على الشق الأيمن.

(٦) أفرغى الماء على الشق الأيسر.

(٧) تتبعى الأماكن البعيدة عن الماء بالماء مثل الأذنين والسرة، والبدينة تتابع الأسافل من الجسم لأن الماء قد لا يصل إليها

- وهذا على سبيل الاستحباب، فلو أنك وقفت تحت الدش وأفرغت الماء على الجسد كله أجزئك هذا.

واقعات الزواج السرى

الزواج السرى لا طلاق فيه، وإنما يجب الفسخ والتفريق بين الزوجين، ويحكم بهذا الفسخ حاكم، طالما أن الزواج السرى اختلف فيه بعض الفقهاء وليس مجمعًا عليه فى عصرنا، إما إن كان بطلانه مجمعًا عليه فى وقت من الأوقات، فللزوجين الفسخ بنفسيهما من غير حكم قاض.

وسبب توقفه على حكم القاضى هو أنه مبنى على أمور هى محل تقدير بين يدي القضاء، فالسرية قد تكون مختلفًا فى قدرها بين الفقهاء، ومن هنا احتاج الأمر إلى نظر حاكم.

ثم إن تزويج المرأة من غير فرقة بوقعها القاضى يجعل المرأة تعتقد أن زواجها السرى انتهى، على حين يعتقد زوجها السرى أنها زوجته وأن نكاحها لم ينفسخ منه.

وهذا يفضى إلى تسلط زوجين عليها كل يعتقد حلها له وتحريمها على الآخر، وهذا لا يجوز فى الإسلام.

وعلى هذا متى تزوجت بآخر قبل التفريق لم يصح الثانى، ولم يجز تزويجها حتى يطلق الأول أو يفسخ نكاحهما.

والمرأة إن تزوجت من الرجلين معًا وكان أحدهما سريًا فهى للزوج الصحيح الشرعى لا السرى.

وفى واقعات الزواج السرى نرى كثيراً من الأزواج السريين لا يطلقون عند الانفصال، ولكن يكتفون فى لحظة طيش وغضب بتمزيق الورق التى سطر فيها العقد السرى أمام الزوجة السرية، أو من ورائها.

وقد يحتال بعض هؤلاء لأخذ ورقة الزوجة وتمزيقها، أو هم يختفون فجأة ويظهرون فجأة، أو ينكرون أى معرفة أو علاقة لهم بالزوجة السرية، وكل هذا يؤكد أنهم لم يقصدوا نكاحًا شرعيًا، وأنه لم يكن كذلك.

فالقاعدة الشرعية تقول: « لا طلاق إلا من نكاح صحيح».

وهذا ما يعلمه الأزواج السريون ويستقر فى ضمائرهم، فلا يكلفون أنفسهم عناء نطق كلمة الطلاق التى لا محل لها.

والحكم بفساد الزواج السرى يحل مشكلة كثير من الفتيات اللاتى اختفى أزواجهن السريون أو امتنعوا عن تطليقهن وتركوهن مرهونات معلقات، تخشى كل واحدة منهن إظهار ورقة الزواج السرى المرفوضة، فيمكن لهؤلاء الحصول على الفسخ قضاء دون حاجة إلى طلاق زوج سرى هارب، أو خوف من جريمة الجمع بين زوجين فى وقت واحد.

هل يجب المهر على الرجل فى الزواج السرى ؟

يجب المهر على الرجل فى الزواج السرى بالدخول بالمرأة ووطئها على مذاهب كل العلماء لقوله ﷺ: «أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها».

فإن كانت المرأة عالمة بالتحريم فلا مهر لها كالمطاوعة على الزنى. فأما إن جهلت المرأة التحريم فلها المهر.

ويجب للمرأة مهر المثل إن لم يُقسم لها مهر، أو الأقل من المسمى ومن مهر المثل إن سمى لها مهر فى العقد.

اختلاف العلماء

وقد اختلف العلماء : هل يستقر المهر بالخلوة فى النكاح الفاسد أم لا؟

والرأى هو أنه يجب لها المهر بالخلوة الصحيحة، وهى التى يجتمع فيها الزوجان فى مكان يأمنان فيه من اطلاع الغير عليهما، ولم يكن ثمة مانع يمنع الدخول الحقيقى، ولو لم يحصل جماع.

ونقل إجماع الصحابة على أن من أغلق باباً، أو أرخى ستراً، فقد وجب المهر، ووجبت العدة.

والظن بهذه الخلوة أن يكون فيها مقدمات الجماع إن لم يكن فيها جماع وخصوصاً فى أصحاب الزواج السرى.

ذهب الإمام أحمد إلى أن مقدمات الدخول كالتقبيل أو اللمس بشهوة، أو النظر بشهوة يؤكد المهر كالدخول، ولو حصل فى غير خلوة، لأن هذا يعد استيفاء لبعض أحكام الزواج، فتأكد المهر بها.

وقد رجح الشيخ محمد أبو زهرة ذلك وقال: إنه نظر سليم لو أخذ به فى مصر ولو طبقته المحاكم الشرعية لكان فيه احتياط للفتاة وأسرتها. ولهذا حجة فى قوله تعالى :

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ

مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾ [النساء].

فالاستمتاع يدخل فيه مقدمات الجماع من تقبيل ومس بشهوة ونظر بشهوة كما يشمل الجماع أيضاً.

براءة الرحم

المقصود بالعدة التعرف على براءة الرحم، وتعتد الزوجة السرية بعد التفريق بثلاث حيضات، إن كانت من ذوات الحيض، وإلا فثلاثة أشهر، فإن كانت حاملاً، فعدتها إلى وضع حملها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- فى المنكوحة نكاحًا فاسداً : «إنما تعتد بحيضة، كما قضت به السنة».

ابتداء العدة

وتبتدىء العدة من وقت التفريق.

وقال زفر: إن العدة فى العقد الفاسد تبتدىء من آخر وطأة.

وهو رأى أشبه بالزواج السرى، ولا تجب عدة الوفاة لأنها ليست بزوجة حقيقية، فإن جامعها الزوج السرى فى عدتها، وهما يعلمان الحرمة أقيم عليهما الحد، لأنهما زانيان، وتستأنف المرأة عدتها للوطأة الأخيرة، أما إذا خلا بها ولم يجامعها فلا عدة عليها.

وقد اختلف العلماء فى صحة زواج من كان وطأها فى نكاح فاسد فى أثناء عدتها منه.

فمذهب الشافعى ورواية عن أحمد : يجوز له أن ينكحها فى عدتها منه، لأن النسب الأحق فى كليهما.

ومذهب مالك ورواية أخرى عند أحمد : لا يجوز ليميز بين ماء الوطء الفاسد وماء الوطء المباح.

كيف يثبت نسب الولد في الزواج السرى

يثبت نسب الولد الذى تحمل به المرأة من الدخول فى هذا الزواج الفاسد احتياطًا لحق الوليد من الضياع. ودليله قول الرسول ﷺ : «الولد للفراش، وللعاهر الحجر». وفى لفظ : «لصاحب الفراش».

ويوضح الشيخ عبد الوهاب خلاف ذلك قائلاً: « إذا ولدت الزوجة المدخول بها بعقد زواج فاسد ولدًا قبل مفارقة زوجها لأقل من ستة أشهر من تاريخ الدخول الحقيقى بها، لا يثبت نسب ولدها هذا من زوجها، لأنها حملت به قبل أن تكون فراشاً له بالدخول بها، وإذا ولدت لتمام ستة أشهر أو لأكثر من تاريخ الدخول الحقيقى بها ثبت نسب ولدها من زوجها، لأنها حملت به بعد أن صارت فراشًا له بالدخول بها .

ولا يمكن أن ينفى نسب هذا الولد أصلا لأن النفى فى حال قيام الزواج الصحيح إنما كان بعد اللعان، ولا لعان بين الزوجين بزواج فاسد، لأن الآية واردة فى الذين يرمون أزواجهم.

والزواج عند إطلاق الشارع لا ينصرف إلا إلى الزواج بعقد صحيح.

ودعاوى النسب فى الزواج الفاسد غير المسجل بوثيقة رسمية تسمع فى المحاكم المصرية بمقتضى قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م، إذ منع سماع الدعاوى فى الزواج غير الموثق رسميًا لا تشمل النسب، لأن هذا المنع لا تأثير له شرعًا فى النسب.

حرمة المصاهرة

تثبت الحرمة فى الزواج السرى كما تثبت فى الزواج الصحيح بإجماع الفقهاء.

فيحرم على الزوج السرى أصول وفروع زوجته السرية، وتحرم هى علي أصوله وفروعه، على اختلاف بين العلماء : هل تجب الحرمة بمجرد العقد أم بالدخول؟

قال ابن المنذر : «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن الرجل إذا وطأ امرأة بنكاح فاسد.. أنها تحرم على أبيه وابنه وأجداده وولد ولده».

ومع هذا لا يصير الرجل بالزواج السرى محرماً لمن حرمت عليه، ولا تصير المرأة به من محارم من حرمت عليه.

إكمالا للفائدة

وإكمالا للفائدة نذكر أن الطحاوى حكى الإجماع عن السلف على أن التقبيل واللمس عن شهوة يوجب حرمة المصاهرة. ومن العلماء من أوجب حرمة المصاهرة بالنظر إلى الفرج .

واجب الزوج الخلقى

فى ليلة الزفاف

لابد للزوج أن يتعامل مع عروسه فى ليلة الزفاف بلباقة ومودة ولطف ورقة.. ، فهذه فتاته غادرت والديها ثم أصبحت معه فى عالم آخر جديد، وحياة أخرى جديدة.. ويجب أن يشعرها الزوج بمودته ومحبته وملاطفته ، خصوصاً فى هذه الليلة التى ترهبها وتخشاها كل فتاة.

فيجب على الزوج أن لا يعتبر العروس فريسة يجب عليه أن ينقض عليها ويفترسها... بل يجب أن يتصرف فى هذه الليلة معها بحب لأنها ليلة لا تمحى من ذاكرة الزوجة مدى الحياة، لذا يجب أن تكون عامرة بالمودة والمحبة لا بالرعب والخوف.

والزوج لا يجب أن يبحث عن اللذة فى هذه الليلة الأولى، بل يهتم بزوجته ويلاطفها ولا يجرح شعورها بتسرعه ورعونته، فسوف يحصل على كل ما يطلبه بالتروى والهدوء لا بالعنف والتسرع.

المداعبات أولا ضرورية :

قال ابن القيم : ومما ينبغى تقديمه علي الجماع مداعبة المرأة وتقبيلها ومص لسانها ، وكان رسول الله ﷺ يلاعب أهله ويقبلها، وروى أبو داود فى سننه أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمص لسانها.

وعن جابر بن عبد الله قال : «نهى رسول الله ﷺ عن الموافقة قبل الملاعبة».

الملاطفات والمداعبات الجنسية فى بداية اللقاء أهم من الجنس نفسه، فالعلاقة الجنسية لابد وأن تسبقها استعدادات نفسية وعاطفية، والإحساس

العاطفى والجنسى لا يتكونان فجأة بل يمران بعملية تدريجية حتى ينتهيان باللقاء العضوى وبلوغ النشوة عند الرجل والمرأة.

والرجل فى الغالب هو الذى يكون له الدور الأساسى فى مراحل هذا التحضير، بل ويكون غالباً هو البادىء به..، ثم يعقب ذلك دور الأنثى وهو دور المشاركة والتجاوب والاستسلام والتشجيع.

قال النبى ﷺ لجابر -رضى الله عنه- : « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك».

وفى رواية : مالك وللعذارى ولعابها ».

وفى رواية كعب بن عميرة عند الطبرانى :« وتعضها وتعضك».

مراحل اللقاء الزوجى:

١- الملاعبة والملاطفة التمهيدية.

٢- الاتحاد العضوى الجنسى (الإيلاج- الجماع).

٣- المداعبة النهائية.

هذا التقسيم ليس إلا لتقريب الفهم وتسهيله، فالجهل هو مصدر الخطأ دائماً، فكثير من الأزواج لا يعرفون أن الزوجة تحتاج إلي تمهيد وملاطفة قبل أن تستسلم لزوجها فى ابتهاج، فهى تحتاج إلي الحب والرقة من جانب الزوج، وتحتاج أيضا إلى تمهيد جسدى عن طريق الملاعبة المثيرة، بل إن الرجل الذى يحب زوجته فعلا يحس بحاجته إلى هذه الملاعبة، وهذه الملاطفة تمثل أمتع ما فى اللقاء الزوجى بالنسبة للمرأة والرجل الذى يغفل هذه الملاطفات والمداعبات نتيجة لجهله أو أنانيته يجعل زوجته لا تستسلم له تماماً بل يحول اللقاء الجنسى إلى صورة أقرب إلى الاغتصاب.

وفى السنوات الأخيرة عرفت المرأة أن الجنس ليس فقط وسيلة للإنجاب بل هو فى حد ذاته نوع من المشاركة الحسية والوجدانية والاستمتاع السعيد، وقد تغير مفهوم الرجل للعلاقة الجنسية وحقوق المرأة الحسية. فلم تعد نظرة الرجل لزوجته على أنها فقط للحمل والإنجاب، إن المرأة تريد فى المقام الأول علاقة حنان ومودة وتعاطف ومشاركة وجدانية وملامسة واتصال عقلى ووجدانى. إن الرجل الحنون المتفاهم أقرب وأحب إلى زوجته من الفظ الغليظ حتى ولو كان أفحل الرجال جنسيًا.

إن العلاقة الزوجية ليست ميكانيكية تبدأ بالضغط على زر خاص لتدور لمدة محدودة بل هى علاقة انسجام عاطفى ونفسى..، فلا لقاء بدون رغبة، ولا علاقة ناجحة إذا لم تشارك الزوجة زوجها وتبادله متعة اللقاء، فالرجل الذى لا يجد تعبير المشاركة الواضح المنطلق فى فراش الزوجية قد يحس بنقص شديد فى حياته ثم يحاول البحث عنه فى مكان آخر.

أساسيات التحضير :

يجب أن يفهم الزوج أن جسد المرأة أكثر انفعالا منه وأكثر تأثيراً باللمس والضغط، يتركز التحضير للقاء الجنسى على مداعبة الأماكن الغنية بالأعصاب المختصة باللمس مثل الأنف والفم والظهر ثم الأعضاء التناسلية والأذنان، ثم الرقبة والكتفان، ثم الثديان وأسفل الظهر والفخذان.

العادة السيئة

يقول العلامة الشيخ سيد سابق :

استمناء الرجل بيده يتنافى مع ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان من الأدب وحسن الخلق، وقد اختلف الفقهاء فى حكمه.

فمنهم من رأى أنه حرام مطلق.

ومنهم من رأى أنه حرام فى بعض الحالات ، وواجب في بعضها الآخر ومنهم من ذهب إلى القول بكراهته.

أما الذين ذهبوا إلى تحريمه فهم المالكية والشافعية والزيدية وحجتهم في التحريم أن الله سبحانه وتعالى أمر بحفظ الفروج فى كل الحالات إلا بالنسبة للزوجة. وملك اليمين، فإذا تجاوز المرء هاتين الحالتين واستمنى، كان من العادين المتجاوزين ما أحل الله لهم وإلى ما حرمه عليهم لقوله سبحانه :

﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ [المعارك :٢٩-٣١].

وأما الذين ذهبوا إلى التحريم فى بعض الحالات، والوجوب فى بعضها الآخر، فهم الأحناف فقد قالوا: إنه يجب الاستمناء إذا خيف الوقوع فى الزنا بدونه، جرياً على قاعدة : ارتكاب أخف الضررين.

وقالوا: إنه يحرم إذا كان لاستجلاب الشهوة وإثارتها.

وقالوا: إنه لا بأس به إذا غلب الشهوة، ولم يكن عنده زوجة أو أمة.

وأما الحنابلة فقالوا: إنه حرام، إلا إذا استمنى خوفاً على نفسه من الزنا أو خوفا على صحته، ولم تكن له زوجة أو أمة، ولم يقدر على الزواج، فإنه لا حرج عليه.

وأما ابن حزم فيرى أن الاستمناء مكروه، ولا إثم فيه، لأن مس الرجل ذكره بشماله مباح بإجماع الأمة كلها، وإذا كان مباحاً فليس هناك زيادة على المباح إلا التعمد لنزول المنى فليس ذلك حراماً أصلا لقوله تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) ﴾ [الأنعام].

وليس هذا ما فصل لنا تحريمه فهو حلال لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ [البقرة].

وإنما كره الاستمناء لأنه ليس من مكارم الأخلاق ولا من الفضائل.

ومن كرهه- ابن عمر، وعطاء.

وممن أباحه: ابن عباس، والحسن، وقال كانوا يفعلونه فى المفازة.

واجب الأب نحو ابنه المراهق :

١- مراقبة الشاب دون أن يشعر.

٢- مراقبة أصحاب الابن.

٣- إذا كان الابن جريئا يخوفه الأب بالآثار الدينية والطبية.

أضرار العادة السيئة:

١- احترس أيها الشاب تمام الاحتراس من العادة السرية فهى تسبب مشاكل كثيرة منها ؟ ضعف البصر.

٢- عدم القدرة على التركيز وضياع الحفظ.

٣- احتقان المجارى البولية والتناسلية.

٤- ربما أدت إلى العنة (عدم القدرة الجنسية مع الزوجة مستقبلاً).

واجب الشباب للابتعاد عن هذه العادة المرذولة:

١- عليه بالدين والعلم.

٢- عليه بالرياضة.

٣- عليه أن يدرك أنه يهين نفسه بهذه العادة القبيحة وليعلم أن الله يطلع عليه وأن الملائكة تراه وكذلك الجن وهو فى ملذته.

ولعل أهم ما يدفع الشباب إلى هذه العادة القبيحة هو المطبوعات الفاجرة المثيرة وخلاعة النساء وتبرجهن وسفورهن فى الطرقات لاجتذاب الأنظار وسماع كلمات المديح مع ما فى ذلك من غضب الله ولعنته ولعنة رسول الله ﷺ للمتبرجات وأمره بلعنهن قال ﷺ العنوهن فإنهن ملعونات. وقال : صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما: رجال لهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يشممن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.

وقوله ﷺ : أيما امرأة تعطرت وخرجت من بيتها ليشم عطرها الرجال فهى زانية.

وأقول للأزواج والآباء : اتقوا الله فى النساء فأى فائدة تعود عليكم من تركهن يسرن فى الطرقات متبرجات متعطرات عاريات يلبسن الاسترتش والجنز ويكشفن عن عوراتهن، أى فائدة تعود عليكم من نظر الرجال الأجانب إلي نسائكم واشتهائهن وتمنى مضاجعتهن وأكثر حوادث الاغتصاب تحدث بسبب هذا العرى والتهتك.

والتبرج من الكبائر حيث ورد فيه اللعن والوعيد بدخول النار هدانا الله وإياهم.

أهمية القوة الجنسية عند الرجل

إن قيام الرجل بالمعاشرة أمر بالغ الأهمية عنده لأنها أساس سعادته وهنائه المنبثقين من اطمئنانه إلى رجولته وعن إرضاء غرور ذكورته بأنه سيد الموقف.

والحقيقة التى لا يمكن نكرانها أو الهروب منها هى أن إصابة الرجل بأى نوع من أنواع الاضطراب الجنسى الذى يضعف فيه هذه المقدرة تضفى عليه من البؤس الشىء الكثير وتؤذى نفسيته بدرجة يندر أن نلحظها فيه حتى عند إصابته بأشد الأمراض قسوة وخطورة.

فنجده يسعى ولا يكل فى استرجاع ما فقده من قوة وذلك بأى ثمن وبأية وسيلة سواء طبية كانت هذه الوسيلة أم تنتمى إلى السحر والتمائم والوصفات البلدية إلى آخره. فشعوره بالضعف الجنسى يجرح غرور الذكورة جرحاً تنساب منه دماء حيويته وعزة نفسه فتنتابه ذلة نفسانية تفسد عليه معيشته بل وحياته.

وليست القوة الجنسية بقوة العضلات وحمل الأثقال وأكل الطواجن والمنظر الخلاب بل القوة الجنسية صفة كنينة فى جسمه لا يدل عليها منظره، والوراثة عامل مؤثر والغالب أن القوة الجنسية ضعيفة فيمن يمارسون أعمالا ذهنية وأبطال الرياضة.

والإسراف فى ممارسة الجنس يعجل بفقد القوة الجنسية فى سن باكر.

لا حياء فى العلم أو تعلم الدين

صح أن الصحابة - والصحابيات - كانوا يأتون النبى ﷺ ويعرضون عليه بعض الأمور المتعلقة بأداب الجماع وغيره ولم ينكر عليهم ﷺ وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة منها حديث المرأة التى سألت رسول الله ﷺ كيف أتطهر .

فقال ﷺ : خذى فرصة فتطهرى.. الحديث وحديث المرأة التى سألته ﷺ : هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال : نعم إذا رأت الماء.

وعن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها- قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظى إلى رسول الله ﷺ وأنا جالسة ، وعنده أبو بكر، فقالت : يا رسول الله: إنى كنت تحت رفاعة فطلقنى، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وذكرت أنه لا يأتيها (أى لا يجامعها)، وأن ما معه ليس إلا مثل هدبة الثوب (تعنى استرخاء الذكر كطرف الثوب الذى لم ينسج) فسمع كلامها خالد بن سعيد- وهو بالباب لم يؤذن له - فقال : يا أبا بكر : ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ .

قالت عائشة : والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم.

وسمع زوجها عبد الرحمن بن الزبير أنها أتت إلى رسول الله ﷺ ، فجاء ومعه ابنان له من غيرها ، فسمع امرأته تقول للنبى : إن ما معه ليس بأغنى عنى من هذه- وأخذت هدبة من ثوبها.

فقال زوجها : كذبت والله يا رسول الله، إنى لأنفضها نفض الأديم (كناية عن شدة جماعه لها وقوته) ولكنها ناشز تريد رفاعة.

فقال رسول الله ﷺ : « فإن كان ذلك لم تحلى له . أو تصلحى له، حتى يذوق من عسيلتك (حلاوة الجماع بتغييب الحشفة).

وأبصر رسول الله ﷺ معه ابنين له، فقال : بنوك هؤلاء ؟!

قال : نعم.

فقال لها رسول الله ﷺ : «هو الذى تزعمين ما تزعمين؟ (أى تدعين عجزه عن الجماع) فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب. (البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، والدارمى، وأحمد).

الصحة والقوة والحيوية

مرتبطة بالاختيار الغذاء السليم

إن الغذاء الكامل للشخص السليم يجب أن تتوافر فيه العناصر الغذائية الأساسية الحيوية للجسم ، وهى :

١- المواد البروتينية :

وهى فى اللحوم، والأسماك، واللبن، والبيض، أو فى المصادر النباتية كالبقول.

٢- المواد النشوية :

وهذه تحصل عليها من الأرز والبطاطس والقمح والذرة.

٣- المواد الدهنية :

وهذه من الزبد واللبن كامل الدسم والحبوب المرتفعة فى نسبة الدهن والسمسم والفول السودانى ... الخ.

٤- الفيتامينات والمعادن :

توجد بكثرة فى الفاكهة ، والخضروات الطازجة والمطهية.

وتختلف حاجة الجسم إلى هذه العناصر باختلاف فترات النمو المختلفة، فالإنسان فى سن الشباب يحتاج إلى كميات ونوعيات أكثر منها عن احتياجاته فى سن الرجولة أو الشيخوخة أو بعد تمام البلوغ.

والشباب فى فترة المراهقة يحتاج إلى الغذاء والطعام الذى يبنى الخلايا والعظام ويستكمل به النشاط والحيوية.

وقيمة الطعام ليست بالضرورة فى غلو ثمنه ولكن فى حسن اختياره.

أهم العنا صر الغذائية المطلوبة للقوة الجسمية :

١- مواد لبناء العضلات والأنسجة وهى البروتينات.

٢- أغذية مولدة للطاقة والحرارة ..، وهى السكريات والنشويات والدهون.

٣- أغذية لبناء العظام والأسنان.

وخاصة الأطعمة التى تحتوى على عناصر الكالسيوم كاللبن والجبن بأنواعه.

٤- أغذية للحفاظ على الحيوية وللوقاية من الأمراض وهى الفيتامينات والأملاح المعدنية.

توازن الغذاء :

يلاحظ أن الشباب والفتيات فى سن المراهقة يحتاجون بصفة أساسية إلى الأغذية التى تبنى العضلات والأنسجة المختلفة بالجسم (البروتين)..، ويجب أن يحتوى الغذاء على الكميات المناسبة منها..، ويلاحظ أنه إذا زادت أغذية الطاقة والحرارة (النشويات والسكريات والدهون) عن حاجة الجسم فإن الفائض منها يتحول إلى دهن يترسب تحت الجلد وفى البطن، وهذه هى مظاهر السمنة، ويلاحظ أن إقبال الشباب على تناول النشويات والسكريات بكمية كبيرة يصاحبه إحساس بالشبع بسرعة وهذا يكون على حساب المواد الأخرى الأكثر أهمية (مواد النمو الحيوية).

أمراض سوء التغذية :

الحرمان من الغذاء والعناصر الضرورية يصيب جسم الإنسان بأمراض

عديدة.، وليس نقص كمية الغذاء فقط هى المسببة لهذه الأمراض، بل ونوعية الغذاء ذاته من حيث احتواء الغذاء على ما هو ضرورى من العناصر اللازمة لنمو الجسم والحفاظ على صحته وحيويته.

مثلا نقص فيتامين A يسبب أضراراً كبيرة على العين يعرف بالعشى الليلى ثم جفاف العين. كما يؤدى نقصه إلى تشقق الجلد وتقشره وبروز بصيلات الشعر مما يجعله عرضة للإصابة بالعدوى والتقيحات لذلك ننصح من يتبعون رجيماً معيناً أن يحافظوا على تناول المأكولات الغنية بهذا الفيتامين.

فالرجيم غير المنتظم قد يؤدى إلى نقص كبير فى الفيتامينات التى يحتاجها الجسم. وهناك أيضاً مرض البلاجرا أو تشقق الجلد وجفافه والذى يرجع سببه إلى نقص فيتامين B المركب وبخاصة حامض النيكوتينك أو فيتامين D ، وكذلك نزيف اللثة الذى يتبع نقص فيتامين C. وهناك أضرار أخرى تصيب العظام (كالكساح ولين العظام) والأسنان والأظافر وباقى أجهزة الجسم بسبب سوء التغذية ونقص العناصر الغذائية الضرورية.

الغذاء والجنس

الغذاء الأفضل يؤدى إلى جنس أفضل :

الرغبة الجنسية ... والأداء الجنسى ... وتكون المنى ... والقدرة على الإنجاب وغيرها من الحالات الجنسية يمكن أن يؤثر عليها تناول بعض المأكولات وبعض أنواع الغذاء ... وبعض الخضار والأعشاب ... والحبوب والفواكه.

الأغذية التى تساعد فى تقوية الأعصاب وتنشيط الألياف الجنسية وهى :

التمر   عسل النحل

اللحم	السمك
الجرجير	اللبن الحليب
البيض	البقدونس
الجزر	البصل
الخس	

التمر والجنس :

التمر وهو البلح ، يحتوى على كمية كبيرة من الفوسفور وعلى كمية عالية من الفيتامينات.. يعتبر من أكثر الثمار تغذية للبدن، فقد ثبت أنه مقو للعضلات والأعصاب ومؤخر لمظاهر الشيخوخة، وتضاهى قيمته الغذائية بعض أنواع اللحوم والأسماك.

- وإذا أضيف إلى التمر اللبن كان غذاء كاملاً، ومقوياً جنسياً، خاصة إذا أضيفت إليه كذلك القرفة والجليب.

وإذا أديم استعماله على الريق جفف مادة الدود. كما أنه مقو للكبد ملين للطبع، يزيد فى القدرة الجنسية، ولاسيما مع حب الصنوبر. والتمر والثمار هى المهمة فى تكوين السائل المنوى عند الرجل، وحفز الأعصاب والخلايا الجنسية عند كل من الرجل والمرأة.

اللحم والبيض والجنس :

اللحم والبيض يحتويان على أفضل أنواع البروتين، وهما من الأغذية المهمة للبدن. وخير معين للنشاط الجنسى.

وحاجة الشخص جرام عن كل كيلو جرام من وزنه، أو على الأقل، ربع

دجاجة، أو سمكة متوسطة، ولا مانع من تناول قدر مساو من اللحم الأحمر كبديل فى بعض الأيام للتوازن فى الغذاء اللازم للجسد

الجرجير والجنس :

الجرجير من النباتات الخضراء المعروفة قديماً، والعرب أول من عرفوا الجرجير ووصفه أطباؤهم مأكولاً ومشروباً عصيراً وأكل بذوره يقوى الجنس ومدر للبول وهاضم للطعام وملين للأمعاء، ويحتوى الجرجير على نسبة عالية من فيتامين (أ) والحديد والألياف النباتية.

الجزر والجنس :

غنى جداً بفيتامين (أ)، خاصة الجزر الأصفر، وهذا الفيتامين يزيد من خصوبة الخلايا التناسلية الموجودة فى الحيوانات المنوية عند الرجل ، كما أنه يزيد من خصوبة الخلايا التناسلية فى البويضات عند الإناث، وهذا الفيتامين يزيد من مقاومة الجسم بشكل عام.

الخس والجنس :

الخس من الخضروات الورقية، وهو أفضل الأغذية مقوياً للقدرة الجنسية، ويسمى عند بعض الشعوب القديمة «نبات الخصوبة»، ويحتوى على فيتامين (هـ) وهو فيتامين الخصوبة، ويفيد فى علاج العقم عند الرجال وتكوين السائل المنوى. أما عند النساء فهو يمنع عسر الولادة والطلق المبكر ويمنع حدوث الإجهاض، ويقوى النسل.

البقدونس والجنس :

البقدونس من النباتات المعروفة، ومن التوابل المشهورة، وهو يحتوى على

العديد من الفيتامينات المهمة. وذلك إضافة إلى بعض الأملاح المعدنية كالحديد والكالسيوم والماغنسيوم، إضافة إلى الزيوت الطيارة.

وزيت البقدونس يفيد فى علاج حالات الضعف الجنسى كما يفيد فى علاج اضطرابات الدورة عند النساء.

السمك والجنس :

تحتوى الأسماك والحيوانات البحرية العديدة على نسبة عالية من اليود. واليود هو عنصر مهم جدا فى الرغبة الجنسية عند الرجل والمرأة على حد سواء، كما يحتوى السمك على نسبة عالية من الفوسفور.

والسمك علاوة على أنه غنى بالبروتين، فهو يعمل على تنظيم الدورة الشهرية عند النساء، ويفيد المرأة فى فترات الحمل والرضاعة والنقاهة من الولادة.

والسمك بشكل عام يزيد من القدرة الجنسية عند الرجل ويزيد من تكون الحيوانات المنوية.

عسل النحل والجنس :

يعتبر الغذاء المفضل فى شهر العسل، وهو منشط جنسى مهم حيث يحتوى على فيتامينات ومواد منشطة جنسية، ويسمى فيتامين الخصوبة.

ويحافظ العسل على جمال الجلد واليدين والبشرة.

العنب والجنس :

العنب منشط جنسى طبيعى حيث إنه ينقى الدم من الرواسب الضارة فيزيد من كفاءة الأعصاب فى نقل الرسائل والاستجابة للمؤثرات، بالإضافة إلى

أنه يعين الشخص على الثبات النفسى والتخلص من القلق والمخاوف التى تفسد العملية الجنسية.

البصل والجنس :

أكل البصل يحفظ الصحة والبصل مفيد طازجاً ومشوياً ومسلوقاً ومقلياً.
ويحتوى على زيوت طيارة ونسبة عالية من الكبريت، وماء البصل يلين الطبيعة.

والبصل يزيد فى القوة الجنسية إذا ما قطع ونقع فى الخل.

الزيتون الأخضر والجنس :

مقو للمعدة، مثير للشهوة الجنسية، وزيت الزيتون يحافظ على جمال البشرة ويعالج تشققات الجلد.

حبة البركة والجنس :

تطحن حبة البركة وتخلط جيداً بزيت الزيتون واللبان الدكر ويؤخذ منها لعدة أيام، فهى تزيد فى الشهوة الجنسية.

الفول السودانى والجنس :

يزيد المنى يقوى الرغبة الجنسية، وهو يحتوى على نسبة عالية ووفيرة من الألياف والبروتينات والدهون النباتية، لذلك فهو غنى بالطاقة اللازمة للعملية الجنسية.

الحمص والجنس :

يأكل أخضر أو مسلوقاً أو مطبوخاً أو محمصاً، يزيد من القدرة الجنسية ويدر الطمث عند النساء.

القرفة والجنس :

شجرة دائمة الخضرة قشورها عطرية تحتوى على زيت عطرى طيار ومنبه، تستخدم قشور القرفة فى عمل شراب القرفة المنشط للدورة الدموية والقوة الجنسية.

اليانسون والجنس :

يحتوى على زيوت طيارة والبروتين والكربوهيدرات. وهو يزيد فى القوة الجنسية ومدر للبن عند المرضعات ومقو للطلق.

الفاكهة والجنس :

هذه الفاكهة تثير الرغبة الجنسية عند الجنسين:

الكاكى - الكمثرى - البرقوق- الخوخ- الأناناس .

التوت والجنس :

ثمار التوت ذات قيمة غذائية كبرى ولها تأثير هرمونى ذكرى تفيد فى حالات الضعف الجنسى للرجال وتزيد فى الشهوة الجنسية.

تركيب الجهاز التناسلى للرجل

الأعضاء الجنسية تسمى أيضا الأعضاء التناسلية لارتباط الجنس بالتناسل. هذه الأعضاء تنقسم إلى قسمين :

قسم داخلى موجود داخل التجويف البطنى، وقسم ظاهر يمكن رؤيته. والقسم الظاهر يتدلى من أسفل منتصف العانة بين أعلى الفخذين، من الأمام جسم اسطوانى رخو الملمس نسبياً وخلفه مباشرة يتدلى من نفس الموقع كيس رقيق الجوانب بداخله جسمان بيضاويا الشكل ولكن مفرطحين قليلاً من الأمام.

أما الجسم الاسطوانى فهو عضو الذكورة، ويسمى علمياً بالقضيب، فأما الكيس فيسمى علمياً بالصفن وهو المحفظة التى يأوى فراغها الجسمين البيضاويين ويسميان علميا بالخصيتين كل واحدة منهما فى جزء خاص من فراغ كيس الصفن، بمعنى أن الفراغ الداخلى للصفن مقسوم إلى قسمين كل قسم قائم بذاته، ويوجد غشاء فاصل بينهما فإذا أضفنا إلى هذه الظاهرة ظاهرة أخرى يلحظها الناظر بدقة إلى الصفن هى وجود ما يشبه الرفاية (الخط البارز الذى فى وسط كيس الصفن من الخارج ويبدو وكأنه مخيط) من الخارج.

– هاتان الظاهرتان تشيران إلى أن ناحيتى الصفن وما بداخل كل منهما من خصية مستقلتان بدأتا مستقلتين أثناء الحياة الجنينية وتم هبوط الخصيتين خارج البطن عبر القناة الإربية قبل الولادة بقليل وتم فى نفس الفترة التحام جزئى الصفن، وهذا التوصل يفسر ظاهرتين وهما خلو صفن بعض حديثى الولادة من إحدى الخصيتين أحياناً، ومنهما معا أحيانا أخرى، وقد يكون الهبوط لأيهما أو لكليهما جزئيًا بمعنى وجود أيهما أو كليهما فى القناة الإربية بدلا من الصفن.

وهناك ظاهرتان :

الظاهرة الأولى :

ملاحظة تدلى الخصية اليسرى أكثر من اليمنى وذلك مما يسبب قلقًا شديداً عند بعض الشباب ولكنه يلتزم الصمت لأنه يظن أن هذه ظاهرة مرضية. والصحيح أنه لا دلالة ولا أهمية لذلك مطلقا وربما يرجع هذا التدلى للخصية اليسرى، نتيجة طول الحبل المنوى الأيسر قليلاً من الحبل المنوى الأيمن، ولو علم الشباب ذلك لهدأت نفسيته.

أما الظاهرة الثانية :

فهو تدلى الصفن تدليا وفيراً بشكل كبير يسبب القلق عند الشباب، ويكون مصحوبا بإنكماش أيضاً أى أن التدلى يتم ثم بعد ذلك ينكمش كيس الصفن ويظهر فى حجم صغير جداً. والحقيقة أن هذه الظاهرة من وفرة تدلى كيس الصفن ظاهرة طبيعية وليس هذا وفقط، بل وهى أيضاً أمر واجب حصوله إذا أردنا للذكر حيوية ونشاطاً جنسياً، وهى فى مدلولها إعراباً عن الحكمة الإلهية فى نزوح الخصيتين من مكانهما داخل البطن وسيرهما نحو خارج البدن ليستقرا فى الصفن، وما هذه الحكمة الإلهية إلا نعمة أخرى من المولى سبحانه وتعالى على ذكور بنى آدم ليحفظ لهم رجولتهم ونشاطهم التناسلى.

ومرجع ذلك أن خلايا الخصية الصانعة للحيوانات المنوية بوجه خاص وخلاياها المفرزة لهرمون الذكورة نسبياً لا ينشطان ولا يؤديان وظيفتهما بحالة طبيعية إلا فى درجة حرارة أقل قليلاً من درجة حرارة الجسم ويتم للخصيتين هذا بخروجهما من باطن البدن أولاً ثم بقيام الصفن بعملية استرخاء العضلات الموجودة فى نسيج جدره فتتسع تبعا لذلك مساحة سطحه الأمامى والخلفى مسببا بذلك زيادة تدليه إلى أسفل والحكمة فى إتساع مساحة سطحى الصفن هو للترطيب، والترطيب معناه إنقاص درجة الحرارة وبهذا تصل الخصيتان إلى درجة الحرارة الملائمة لقيام خلاياها بوظيفتها.

وتدلى الصفن ظاهرة فسيولوجية تثير وتنبه إلى أن الخصيتين داخل كيس الصفن نشيطتان وهو أمر ينبغى أن يسعد الشاب ولا يقلقه، وملاحظة حدوثه يكثر من سن الحلم إلى حوالى منتصف العقد الثالث من عمر الرجل. ويرجع ذلك إلى أن هاتين الغدتين فى هذه الفترة من حياة الذكر ومازالتا فى طور قوتهما وشبابهما وكلما ارتفع السن بالنسبة للذكر بل وكلما أسرف الرجل فى

نشاطه الجنسى، أى فى كثرة الجماع مع الزوجة، طول النشاط وهبطت درجته فتصبح مساحة الخصيتين إلى الترطيب أقل فتنكمش جدر كيس الصفن تبعا لذلك وهذا الإنكماش مما يخافه الشاب أيضا ما هو إلا انتهاء لعملية فسيولوجية وارتخاء كامل.

بقى من الأعضاء التناسلية عند الذكور عضو الذكورة والذى يطلق عليه المصطلح العلمى القضيب، وإذا انتشر أشبه بالمنشور المثلث الأضلاع بزوايا مستديرة.

وعضو الذكورة ليس جسماً واحداً كما يتبادر إلى ذهن غير الدارسين لعلم التشريح، والحقيقة أنه يتكون من ثلاثة عواميد طولية اسطوانية الشكل، اثنان منهما متلاصقتان من الأمام ويكونان القسم الأمامى العلوى من هذا العضو ولكنهما (أى الاسطوانتان الأماميتان) منفرجتان من الخلف مكونان شبه أخدود على طول القضيب ويرتد فى هذا الأخدود العمود الأسطوانى الثالث ويخترق هذا الجسم الخلفى القناة البولية التى تنتهى عند رأس العضو بفتحة تسمح للبول والمنى بالخروج. وهذه الاسطوانات الثلاث يربطها بعضها نسيج رابط ويغطيها الجلد من الخارج، وتجتمع فى الأمام برأس العضو ومن المؤكد أن تكوين عضو التناسل من ثلاثة أجسام اسطوانية بدلاً من جسم واحد هو لاعطاء هذا العضو قدراً من الصلابة عند الانتشار.

والتشريح الدقيق للعواميد الاسطوانية الثلاثة المكونة لجسم عضو الذكورة، يبين أنها مكونة من خلايا يتخللها فجوات وكهوف كفجوات وكهوف الإسفنج وبداخل هذه الفجوات جيوب دموية يتخللها آلياف عضلية غير إرادية وألياف مطاطة لها القدرة على الانتصاب.

الفجوات والكهوف :

الحكمة فى إيجادها هى أن تمتلأ بالدم فيتضخم حجم العضو تبعا لذلك، وأما الألياف المطاطة فوجودها ضرورى كى تسمح بتضخم العضو عندما يمتلىء بالدم وأما الألياف العضلية غير الإرادية فانقباضها هو أساس قيام العضو وانتصابه ويتم انقباض هذه العضلات برسالة تصلها من المراكز الجنسية الموجودة فى المخ وفى أسفل الحبل الشوكى بمجرد إثارة المرء جنسياً، ويتم الانتصاب تلقائيًا نتيجة للإثارة دون أن يكون للمرء إرادة فى ذلك ويقوم بتوصيل الأمر إلى هذه العضلات بالتقبض وإلى الأوعية الدموية بإغراق فجوات جسم العضو بالدم. يقوم بتوصيل الأمر بذلك إلى أنسجة عضو الذكورة إلى الأعصاب الغير إرادية.

فأنواع أعصاب الإنسان نوعان، إرادى وغير إرادى.

فالإرادى طوع إرادة المرء، كأن يريد الإنسان رفع ذراعه فيصدر من المركز العصبى الخاص بحركات الذراع، الأمر إلى العضلات بذلك عبر الأعصاب المغذية لها.

وأما النوع غير الإرادى من الأعصاب فيؤدى عمله تلقائياً دون تدخل من المرء وإرادته فمثلاً قيام الجهاز الهضمى بوظيفته من إفراز لعصارته الهضمية ومن انقباضات عضلات المعدة والمصارين هذه كلها تتم بأوامر أعصاب غير إرادية فلا المرء بقادر على أن يوقف المعدة عن إفراز عصارتها ولا هو بقادر على أن يوقف معدته ومصارينه عن العمل.

كذلك ما يحدث للقضيب من تضخم نتيجة لامتلاء كهوف وفجوات نسيجه بالدم وما يحصل له من انتشار وتصلب نتيجة لانقباض الألياف العضلية والألياف المطاطة الانتصابية التى تتخلل الفجوات فى الكهوف المذكورة . كل

هذا يحدث لا إراديًا بأوامر صادرة من الجهاز العصبى السمبتاوي أى الإرادى وهذا الجهاز الأخير تأتيه الأوامر بدوره من مركزى الاهتياج الجنسى.

البروستاتا والمنى :

البروستاتا هى مجموعة من الغدد المجمعة عند عنق المثانة ووظيفة البروستاتا إفراز مادة لزجة تمهد الطريق وتنظفه من الإفرازات الحامضية وذلك مما يحافظ على المنى الذى يخرج مع الارتعاشة الأخيرة للرجل بين ذراعى زوجته، والمنى يتكون من مجموعة من الحيوانات المنوية تسبح فى السائل المنوى، والحيوانات المنوية هذه تجرى بالجهاز التناسلى للرجل حيث هى الرسالة التى يبثها الرجل للمرأة إعراباً عن مودته وتكيفه معها وحتى يحافظ على النسل.

والحيوانات المنوية تخرج من الرجل على هيئة سيول، فهى بالملايين فى القذفة الواحدة، ووظيفتها الإخصاب، حيث يقوم الحيوان المنوى بتخصيب البويضة فينتج عن ذلك ما يسمى بالزيجوت الذى يبدأ فى التكاثر. والحيوان المنوى يتكون من الرأس والعنق والذيل، يساعد الذيل الحيوان المنوى على السير فى القضيب، وبمعنى أصح على السباحة فى السائل المنوى فى القضيب ثم يدخل إلى المهبل ويفرده، ولكن عند دخول البويضة أو محاولة اقتحام البويضة ينقطع ذلك الذيل لأنه يصبح عديم النفع، فما هو إلا مجرد خادم يساعد على الانتقال، ولكنه ليس برسالة إلي رحم المرأة، فالرسالة محمولة فى رأس الحيوان المنوى، وهى عبارة كروموسومات الرجل التى تمثل صفاته

الخلا صة :

شكل الحوض الذكرى . يتكون الحوض الذكرى من الأعضاء الآتية :

١- الارتفاق العانى. ٢- المثانة

٣- الحويصلة المنوية ٤- القناة القاذفة للمنى.

٥- المستقيم. ٦- غدة البروستاتا .

٧- جدار البطن . ٨- البريتون.

٩- غدة كوبر. ١٠- الأجسام الكهفية لمجرى البول فى القضيب.

١١- غلفة القضيب ١٢- الصفن.

الجهاز التناسلى للمرأة

الأعضاء التناسلية للمرأة تنقسم إلى قسمين :

١- الأعضاء التناسلية الخارجية .

٢- الأعضاء التناسلية الداخلية.

الأعضاء التناسلية الخارجية :

وتتكون من :

١- الشفران الكبيران :

وهما يستران مدخل الجهاز التناسلى للمرأة، وهما عبارة عن طبقة بلون جلد الأنثى، يغطيها شعر العانة، والشفران الكبيران يتلامسان بحافتيهما كدفتى الباب عند العذراء وبذلك يمكن إغلاق فوهة الجهاز التناسلى.

٢- الشفران الصغيران :

وهى ثنية مثلثة الشكل لا تظهر عادة إلي خارج الشفر الكبير، لونها وردى، يختبئان خلف الشفرين الكبيرين.

٣- البظر :

ويقع فى أعلى نقطة عند التقاء الشفرين الصغيرين من أعلى، وهو أهم مناطق الإثارة بالنسبة للمرأة.

والبظر يعلو فتحة البول، تنتشر فيه شبكة من الأعصاب الحساسة لذا فهو أكثر المناطق إحساساً باللذة وتقبلاً للإثارة.

٤- فتحة البول :

وتوجد فى الزاوية العلوية من الشفرين الصغيرين، أسفل البظر، وأعلى فتحة المهبل.

٥- فتحة المهبل :

وهى الفتحة التى يتم الجماع من خلالها، ويسدها غشاء البكارة.

الأعضاء التناسلية الداخلية ، وتتكون من :

١- المهبل :

وهو عبارة عن قناة طولها ١٠-١٢ سم مكونة من جلد مخاطى تحيطه ألياف عضلية طولية مستديرة، وهو العضو الأنثوى الخاص بالجماع.

وهو قابل للامتداد والاتساع، مبطن بغشاء وردى اللون مخاطى متين، ولجدرانه القدرة على التمدد والاستطالة، وتفرز جدرانه مادة لزجة، **ويفرز مواداً معينة تحمى الجهاز التناسلى للأنثى من الجراثيم والميكروبات الضارة.**

وتمتص جدران المهبل بعض المواد الحيوية من منى الرجل.

٢- الرحم :

وهو عضلة مجوفة كمثرية الشكل مبطنة بغشاء مخاطى، وحجم الرحل الطبيعى لا يتعدى قبضة اليد العادية، ولكنه يكبر وتتضخم كتلته العضلية أثناء الحمل بشكل لا يكاد يصدق.

٣- قناتى فالوب (بوق الرحم):

وهى قناتان عضليتان تخرجان من أعلى جانبى الرحم، تمتدان من الرحم فى صورة قناة ضيقة جداً يزداد اتساعها تدريجياً كلما اقتربت من المبيض لتصبح على شكل بوق عند المبيض. ووظيفة قناة فالوب هو استقبال البويضة التى تخرج من المبيض ونقلها إلى داخل الرحم، إذ يبلغ طول القناة الواحدة ١٠-١٥سم، فى داخلها ثنايا وأخاديد مجهزة بأهداب مهتزة دائبة الحركة، تشكل تياراً متحركا ناحية الرحم، فهى تسوق البويضة نحو الرحم لتستقبل الحيوان المنوى هناك، كما أن هذه الاهتزازات تهيج الحيوانات المنوية فتتجه للبويضة.

٤- المبيضان :

تحمل كل أنثى مبيضين، وهما الغدتان التناسليتان عند المرأة ويطلق المبيض بويضة واحدة كل شهر فى الغالب.

غشاء البكارة

غشاء البكارة هو غشاء رقيق يصل ما بين الأعضاء التناسلية الخارجية (الفرج) وبداية الأعضاء التناسلية الداخلة (المهبل) وهو غشاء رقيق يوجد بين الشفرين الكبيرين والصغيرين من ناحية وقناة المهبل من ناحية أخرى، ويوجد على مسافة سنتيمترين أو ثلاثة سنتيمترات من الفتحة الخارجية للجهاز

التناسلى. ويعتبر هذا الغشاء بمثابة الحارس على المهبل، وهو الدليل على عدم حدوث اتصال جنسى كامل قبل الزواج، والدليل على بكارة الأنثى وعذريتها.

وهذا الغشاء غير كامل، بمعنى أنه ليس مسدوداً سداً تاماً، بل توجد به فتحة أو أكثر من فتحة للسماح بمرور دم الحيض من رحم البنت إلى الخارج بعد وصولها إلى سن البلوغ.

أشكال غشاء البكارة:

وتبعا لشكل هذه الفتحة يتم تسمية الغشاء. فإما أن يكون بالغشاء فتحة واحدة دائرة (مستديرة) فيسمى هذا الغشاء باسم : **الغشاء الحلقى أو (الدائر).**

وأما أن تكون هذه الفتحة مسننة (مشرشرة) أو يكون الغشاء نجميا (تكون فتحته على شكل نجمة) وهكذا.

وقد توجد أكثر من فتحة واحدة فى الغشاء، قد تكون فتحتان بالغشاء. أو أكثر من فتحتين فيسمى غرباليا (كالمصفاة)... وهكذا فإن الفتحة التى يمر منها دم الحيض عبر الغشاء يتم من شكلها تسمية الغشاء. ونادراً ما يكون الغشاء كاملاً أو مسدوداً بلا أى فتحة لمرور الدم، وفى هذه الحالة تشعر الفتاة بعد البلوغ بآلام شديدة ومغص من عدم نزول دم الدورة، ثم يتكون بعدها ورم فى أسفل البطن يختلف حجمه باختلاف عدد الشهور التى مرت على بلوغ الفتاة، وهذا الورم يشبه الحمل، وليس بحمل... إنه الرحم الممتلىء بدم الطمث الذى لم يتم تصريفه لانسداد الغشاء سداً كاملاً.

وقد تشعر الفتاة بسبب ذلك بمغص وآلام الدورة كل شهر لكن لا تنزل منها دماء الدورة ، وقد يحدث احتباس فى البول. فى مثل هذه الحالة يتم إجراء عملية جراحية بسيطة نسبياً لإحداث ثقب فى الغشاء للسماح بنزول دم الدورة المتراكم، وللسماح بمرور غيره فى الشهور القادمة وتتم هذه العملية تحت تأثير

مخدر كلى وفى دقائق معدودات. على أن تطلب الفتاة تقريراً مبيناً بالحالة من الطبيب الذى أجرى الجراحة.

وهناك أنواع أخرى منها مثلا الغشاء السميك جداً الذى لا يستطيع الزوج فضه بالإيلاج بل يحتاج إلى جراحة لفض الغشاء دون ألم. وكم من فتاة ظلمت وتعرضت للمهانة أو القتل لأنها من صاحبات هذا الغشاء والسبب الجهل.

الوقاية من الأمراض التناسلية

الوقاية هى منع المرض، وخير أساليب الوقاية من أى مرض (ويشمل هذا الزهرى والسيلان) هو عدم التعرض له، وقد ابتكرت وسائل أخرى متنوعة لحماية الناس من الأمراض التناسلية.

وظل ملايين الناس حتى عشرة أعوام مضت يستخدمون "وعاء الوقاية" ولكنهم نادراً ما يستخدمونه الآن، وأهم ما يحتوى عليه الوعاء أنبوبة تحتوى على مادة مطهرة قوية تدس فى مجرى البول وتنشر هذه المادة على القضيب بعد الجماع. وطريقة الكيس "الكبوت" أكثر فاعلية وأكثر شيوعاً فى الاستخدام. وإذا ظل الكيس موجوداً طول فترة الجماع، وأزيل بعدها بعناية أنقص إلى حد كبير احتمالات العدوى واستبعد احتمال الإصابة بالسيلان إلى حد كبير وأنقص احتمال الإصابة بالزهرى فى الغشاء المخاطى خارج المنطقة المحمية من العدوى.

وهناك طريقة أخرى أكثر أناقة ورقة، وهى الأقراص المضادة للحيوان المعدى. وتؤخذ عن طريق الفم فى غضون فترة يسيرة جداً من العدوى، ويمكن أن تمنع العدوى، ولكنها أيضا قد تصير قناعا علي العدوى، أى أنها قد تكبت الأعراض وتخفيها ولا تقضى على مصدر إنتاجها، وبذلك لا يعالج المرض بل تتم تهدئته. وهذا عيب كبير من عيوب أقراص المواد المضادة للحيوان.

ولابد من الحذر فى اختيار الشريك الجنسى والبعد عن الاتصال بالعاهرات، فإن العاهرات لا يزلن مصدراً كبيراً للأمراض التناسلية حتى وإن كان يجرى عليهن كشف طبى دورياً. وأهم شكل عملى للوقاية من غير شك هو الزواج من واحدة والإخلاص لها والتعفف عن الزنا.

العقـم

متى يقال عن المرأة أنها عاقر ؟ إن المرأة التى تشارك رجلا سليم البنية قادراً على التوليد، فى حياته الجنسية لعدة سنوات ولا تحمل، تعتبر عاقراً بالنسبة لزوجها. وهذا لا يعنى أنها عاقر مع سواه، لأن النساء يفرزن، بسبب تنافر فى التركيب الخلوى، سموماً تقتل المنى ولا تخصب إلا إذا زفت إلى غير زوجها.

العقم المؤقت فى فجر الزواج :

لم لا تخصب بعض النساء فى السنة الأولى من زواجهن؟ لأن حدسهن التكوينى لم يستيقظ ولم يحدث لهن الانتصاب الكافى. وأجهزتهن الجنسية تفرز خلاياها التناسلية منذ عشرة سنوات بدون إخصاب، ولذلك لا يسهل إثارتها بسهولة، وهى تشبه هنا محرك سيارة تعرض للصقيع فى ليل بارد، أو قد تكون أجهزتها الجنسية غير مكتملة التركيب، فتصاب بالعقم لئلا يضر بها حمل قبل أوانه. وخلافاً لجميع هذه الأسباب، يجب أن تستشير الطبيب إذا لم تحمل بعد مرور تسعة أشهر على زواجها.

معرفة أسباب العقم تحتم على الطبيب فحص الزوجين :

جرت العادة فى إلقاء أسباب العقم على عاتق المرأة، وهذا مما يخالف المنطق. فإن لم يثبت أن الرجل قادر على الإخصاب يكون من العبث إلقاء

المسؤولية على المرأة. فيجب إذن أن يخضع الرجل للفحص الطبى بتحليل المنى تحت المجهر والتأكد منه إذا كان يحمل جوينات منوية وكافية للإخصاب.

وقد أثبت البروفسور ل. ديفرانى البحريسى أن أكثر من ٣٠٪ من حالات العقم يكون الزوج سببها.

عقم الرجل

الأسباب الرئيسية التى تجعل الرجل عقيما:

أولا : العجز.

ثانيا: سرعة الإنزال.

ثالثا: نقص فى تكوين المنى (فقدانه أو استرخاؤه).

رابعا: الجماع الذى يعقب التهابات فى الخصيتين.

عقم المرأة

يعود العقم فى المرأة لأسباب مرضية عديدة، نذكر منها عشرين سببا قد تكون أكثر شيوعا وهى :

ضيق المهبل :

يعتبر ضيق المهبل من الأسباب الآلية لعقم المرأة. فإما أنها لا تدخل قضيب الرجل جيداً فى مهبلها، وإما أن ضيق هذا الأخير يحول دون الإيلاج الكافى، فيحدث القذف فى مدخل المهبل أو فى القسم الأسفل من تجويفه، مما يضر بالإخصاب لأن حموضة السائل المهبلى تقتل المنى وتشل حركته فيصبح مستحيلا عليه اجتياز المهبل بكامله. ويحدث أحياناً أن ارتجاف العضلات المهبلية يقذف المنى الداخل إليه ويرده على أعقابه.

الأوضاع غير المناسبة فى الجماع :

فى أحيان كثيرة لا تخصب المرأة بسبب أوضاع غير مناسبة تأخذها فى أثناء الجماع. والمعروف أن المرأة العادية الإخصاب تحمل كيفما اتفق لها الوضع إبان الجماع، طالما يكفيها عدد ضئيل من المنى لكى يسير فى مسالكها الجنسية وينجح أحدها فى إخصاب البويضة. إلا أن بعض النساء يواجهن صعوبات شتى فى العلوق، ولذلك ينصحهن الأطباء بإجراء اتصالات جنسية بأوضاع معينة تسمح لأكبر عدد ممكن من المنى كى يسير طويلا فى مسالكهن الجنسية، ومنها الاضطجاع على الظهر ورفع الردفين بوسادات، لكى ترفع المهبل وتسهل الإيلاج مما يساعد المنى فى الدخول فوراً إلى الرحم، ولزيادة التأكيد من نجاح العملية ينصحهن بالبقاء مضطجعات على الظهر طيلة ساعات بعد الجماع من غير حراك.

قصر المهبل واختفاء قعره (طرفه الخلفى):

يكون المهبل عادة قصيراً وعديم الخشونة عند النساء الضعيفات وخاصة عند اللواتى لم ينضجن بعد ويكون قعره مختفياً. وهو يشغل وظيفة خزان - وهذا مما يساعد على خروج المنى وضياعه. لذلك ننصح هؤلاء النساء باتباع الأوضاع التى ذكرناها آنفا. وقد تقود هذه الأسباب البسيطة إلى عقم طيلة سنوات عديدة.

ضيق المجرى العنقى :

فى أغلب الأحيان تتوهم النساء أن عقمهن ناجم عن ضيق فى المجرى العنقى. " أن مجرى عنق رحمك هو ضيق كثيراً "- هذا ما قاله الطبيب- فيتمكن بهذه العبارة ضاربات صفحاً عن كل ما قال خلاف ذلك وليكن ماشئن! فالجسم

البشرى ليس بآلة، ونادراً ما ينشأ نقص فى وظائفه عن أسباب عملية، فهو تركيب بيولوجى دقيق، ومجرد ضيق عنق الرحم لايمكن أن يسبب العقم فى المرأة. فبما أن دم الحيض يقدر على الخروج من الرحم لذلك يستطيع المنى أن ينساب من تجويفه. والحوين المنوى بالنسبة لكريات الدم، كالحوت بالنسبة لفرخ السردين. واستناداً إلى ذلك يخيل إلينا أن السطحيين، ولربما بعض الأطباء، يصرون على أن فرخ السردين لا يستطيع اجتياز مضيق يتسع لمرور باخرة حربية! فى الواقع لا يكون مجرى عنق الرحم ضيقًا إلا من نقص فى النضوج.

انحراف الرحم :

ليس من النادر اكتشاف عقم سببه انحراف فى الرحم. ففى وضع الرحم الطبيعى تتجه فوهته الخارجية إلى أسفل، لذلك يصب فيه المنى إذا كانت المرأة مستلقية على ظهرها أما إذا كان الرحم منحرفاً فتبعد فوهته الخارجية عن المهبل ويقل امتصاصه للمنى بقدر ما يزيد ابتعاده وفى الغالب يصحب إنحراف قصر المهبل واختفاء قعره، فيهرق المنى بسرعة خارج التجويف المهبلى، وهكذا يقل أمل الحمل. فإذا أدخل الطبيب حلقة لتقويم الرحم سهل الحمل وزالت العقبة، أن إنحراف الرحم يجعل الحمل صعباً، غير أنه لا يعدمه تماماً.

انسداد البوقين :

على أثر التهابات موضعية شديدة ينسد البوقان ويسببان بعض حالات العقم.

الالتهاب البوقى:

الالتهاب البوقى هو المرض الأكثر شيوعاً بين النساء، والذى يكلف ميزانيات أوروبا، بعد السفلس، تكاليف باهظة. ففي أوروبا الوسطى والغربية

أصبح عدد النساء اللواتى تعالجن من هذا الداء يربو على المليونين. وهذه أسباب التهاب البوقين :

١- الوسائل الإجهاضية.

٢-التعقيبة (السفلس).

٣- النهوض على أثر الولادة قبل أخذ الراحة الكافية.

٤- كل تصرف ضد طبيعة الجسم.

٥- الإرهاق فى فترة الحيض وأضرار الألعاب الرياضية (مباريات الدراجة النارية لمسافات بعيدة أو السباحة الطويلة الأمد فى الماء البارد).

٦- أمراض الحمى (كالكريب والروماتيزم المفاصلى والتيفوئيد والسل) وتعتبر هذه أندر من الأسباب التى سبقتها.

الوقاية من الالتهاب البوقى

أولا: على كل امرأة مصابة بالتعقيبة أن تتلافى الحمل ريثما يتم شفاؤها.

ثانيا: إذا حملت ولم يتم شفاؤها، عليها أن تبذل كل مجهود لإنهاء الأمر فى سلام.

ثالثا: إذا كانت التعقيبة تقتضى الإجهاض، فلا يجوز أن يجرى ذلك إلا فى عيادة الطبيب وعلى يد أخصائى يقوم بالعناية اللازمة. ومن الخطر أن يقودها الخجل إلى كتمان مرضها الزهرى حتى عن الطبيب.

رابعا: بعد الولادة أو الإجهاض يجب أن تلازم الفراش طويلاً وبعد الإجهاض يجب أن تظل ملتحفة لمدة أسبوعين، أما بعد الولادة فتضطر لأربعة وعشرين يوما على الأقل فإذا لم تتبع هذه النصائح تعرض نفسها للالتهاب البوقى الذى يسبب عقمها.

كيف تتأكد من انسداد البوقين:

كى نفحص البوقين إذا كانا سالكين أم لا، يجب أن ننفخ قليلاً من الهواء أو الأوكسجين فى التجويف الرحمى. فإذا عبرت التجويف البطنى تتأكد من سلامتها والعكس بالعكس. ويتوصل الطبيب إلى معرفة قوة المقاومة التى تعترض مجرى الهواء بواسطة المانومتر (آلة تقيس ضغط الغازات).

معالجة المسالك البوقية بواسطة ضغط الهواء :

إذا سلطنا ضغطاً من الهواء أو الأوكسجين على المسالك البوقية المسدودة من الممكن أن تنفتح أو تتوسع مما يسهل حمل المرأة على الأثر.

معالجة المسالك البولية بواسطة عملية جراحية :

من الممكن تدخل علم الجراحة فى انسداد المسالك البوقية، غير أن التجربة قد دلت على ندرة نجاحها.

التصاق والتواء البوقين :

على أثر التهاب ما، يلتصق البوق بعضو مجاور (كالصفاق والمبيض وجدار الحوض والزائدة) وعندما يزول الالتهاب تظل المسالك ملتصقة بما يجاورها، كأنها ندوب جرح قديم، فيظهر التواؤها.

التصاق المبيض :

فى الغالب يلتصق البوق بالمبيض لأنه أقرب عضو إليه. ويكون سطح المبيض الجلدى فى حالته الطبيعة ناعماً رطباً، والرشوحات الدابقة التى يفرزها البوق حينما يكون ملتهبا تجعله ملتصقاً التصاقاً متيناً، ومن الواضح أن يسبب هذا العارض انحباس البويضات وانشلال حركتها.

النضوج غير الكافى :

النضوج غير الكافى هو أكثر الأسباب البيولوجية والتكوينية شيوعا فى إيجاد العقم، فضلا عن أنه أول مسببات الالتهاب البوقى.

البرودة :

تمتلىء الأعضاء التناسلية عادة بالدم تحت تأثير الهياجات الجنسية فتصبح الأغشية حارة رطبة، وتفرز الغدد سوائلها، وتنقبض العضلات ومن جملتها الرحم الذى تمتص فوهته الحوينات المنوية.

أما المرأة الباردة فلا يتحرك رحمها. فإذا قلنا أن المرأة الشهوانية هى كثيرة الإخصاب فإننا لا نعنى بذلك أن المرأة الباردة لا تخصب أبداً. حذار من الخرافات المضادة للمنطق!.

زيادة الحموضة فى العصير المهبلى :

يكون العصير المهبلى فى حالته الطبيعية حامضا ليحمى المهبل من الجراثيم الفتاكة، ويساعد المنى على الانزلاق فى القناة العنقية. فإذا زادت حموضته تنشل حركة الحوينات المنوية وبالتالى يصعب الحمل.

ولمعالجة هذا الطارىء تقوم المرأة بإجراء حقنة مهبلية بالماء الحار قبل الجماع. وتضيف إلى كل لتر ماء معلقة كبيرة من بيكروينات الصودا، لأن هذه تزيل الحموضة من المهبل فيتجدد نشاط المنى كالسابق ويسهل العلوق.

الالتهاب المهبلى «النزل» :

فى بعض الأحيان يؤثر الالتهاب المهبلى على إخصاب المرأة. والالتهاب المزمن يفسد الإفراز المهبلى إلى درجة تعيق الحمل أو تسبب العقم.

جفاف غشاء الرحم:

يكون غشاء الرحم عند بعض النساء جافاً، مما يحول دون إخصاب البويضة لأنه لا يفرز لها غذاء كافياً. وجفاف غشاء الرحم يشبه جفاف غشاء الأنف. ويعالج بالهرمون أو بالحرارة الكهربائية أو بالحمامات الحارة أو بالحقن الحارة أو بالتدليك «الميساج» والعلاجات السريعة والعميقة هي قادرة على إعادة الإخصاب.

تورم غشاء الرحم:

يكون غشاء الرحم عند فئة أخرى من النساء نشيطاً يشبه غشاء الأنف المصاب بالزكام، وينزف من هؤلاء دم غزير في فترة الحيض حتى يصاب بعضهن بنزل مستديم ويعالجن تماماً كالمصاب بجفاف غشاء الرحم.

الالتهاب الرحمي (النزل):

وتصاب بعض الفتيات بتورم في غشاء الرحم دون أن تعرف الأسباب، وهذا يحصل نادراً. ويعكس ذلك نجد الالتهاب الرحمي كثير الحدوث. وإليك أهم أسبابه : البرد أو التقتين الغذائي أو الوسائل الاجهاضية وبعض التعفنات أو احتباس المواد التي تغذي الجنين أو فقر الدم أو التهاب المثانة أو الإمساك المزمن. وعادة حالما يزول النزل يعود الإخصاب فوراً.

الدمامل الرحمية :

تنمو أحياناً على عضلات الرحم دمامل، وهي بعكس السرطان لا يستفحل أمرها، إلا أنها تقود في الغالب إلى العقم. ولا نعتبر المرأة المصابة بها عاقراً بكل معنى الكلمة، لأنها تحمل وهي هذه الحال، غير أن الجنين سيخرج قبل اكتماله لضيق المكان.

فإذا كانت الدمامل صغيرة وقليلة الخطورة يستطيع طبيب جراحى أن يستأصلها فتخصب المرأة بعدئذ. أما إذا كانت الدمامل خطيرة ومزمنة فهى تبدل، مع الزمن، شكل الرحم وتقود المرأة إلى العقم الدائم. فعلى المرأة المصابة بهذه الدمامل، التى تود إنجاب الأطفال أن تستأصلها بعملية جراحية فى العاجل من غير إهمال.

التنافس البيولوجى بين البويضة والمنى :

فى بعض الأحيان يكون الرجل والمرأة سليمى البنية، ومع ذلك فلا ينجبان أطفالاً. فإذا فسخا عقد قرانهما وارتبط كل منهما بشريك آخر، سرعان ما ينجبان أطفالاً، ويعتبر هذا الأمر غريباً إذا كانا متحابين حباً شديداً، وكانا قادرين على التوالد إذن. لما كان يحدث التنافس مابين البويضة والمنى.

جوزفين ده بوهارنيه كانت قد أنجبت أطفالاً فى زواجها الأول غير أنها ظلت عقيماً فى اتحادها مع نابليون، حتى اضطر إلى فراقها بعذر حكومى! وظل حزيناً عليها طيلة حياته، بينما انجبت له امرأته الثالثة مارى لويز طفلاً. ولو تيسرت المعالجة لعقم جوزفين لكان محتملاً أن يأخذ تاريخ أوروبا وجهاً آخر غير الذى حصل.

الجراثيم التى تفتك بالمنى :

يعتبر جسم المرأة المنى الداخل إليه جسماً غريباً، فتقوم قوى الدفاع الداخلية بمهاجمة كل متطفل، وذلك بتكوين جراثيم دفاعية تهاجم الأمراض كالدفتيريا مثلاً، وعصوبة المرأة تنتج من هذه الجراثيم لمهاجمة المنى بنوع خاص. وقد أكدت التجارب فى الحيوانات سريانها فى الدم بعد ٢٤ ساعة من تاريخ الجماع.

لِمَ نجد البغايا عاقرات؟ ليس لانسداد البوقين فحسب، بل لأن مهبلهن يستقبل كل يوم منياً متنوعًا، مما يدفع الجسم على إنتاج كمية ضخمة من الجراثيم الدفاعية. ولذا يكون عقم بعض النساء عائداً لإزدياد هذه الإفرازات

البويضات الفاسدة :

دلت البحوث المجهرية على أن المبيض ينتج فى بعض الأحيان بويضات فارغة لا تصلح للإخصاب وتكون شبيهة بحبوب البرغل المنقوع. وتعتبر هذه الحالة عارضاً مرضياً قابلاً للشفاء، إذا أجريت له عملية جراحية. فيستأصل الطبيب جزءاً من المبيض مع الأوعية الدموية التى تغذيه. وهكذا يبدأ بإنتاج البويضات العادية القادرة على الإخصاب.

انقطاع التبويض:

ينقطع التبويض أحياناً عند بعض النساء ويعقبه في الغالب انقطاع فى الطمث، كما تحصل بعض الحوادث الشاذة تعتبر فيها النساء العديمات الطمث عاقرات وعلى العموم ننصح النساء العديمات الطمث أصلا أن لا يتزوجن، أضف إلى أن أملهن فى إنجاب الأطفال هو ضئيل جداً وأغلبهن يتزوجن استجابة لطلب الأهل، وزيادة فى البساطة يستغرق العقم اللاحق بهن.

علاج العقم :

ذكرنا أكثر أسباب العقم شيوعاً، واستنتجنا من ذلك أن العقم قد يكون دائماً، أو يكون وقتياً بسبب عوائق عديدة. وفى أغلب الأحيان لا ينتج هذا العقم عن سبب واحد بل عن عدة أسباب مترابطة. فالمرأة العاقر بسبب نضوج غير كاف مثلا لا تحيض كل ٢٨ يوماً ، بل فى فترة تتراوح بين ٦ و ٨ أسابيع، هذا فضلا عن صغر رحمها وجفافه وقصر مهبلها الذى لا يستطيع الاحتفاظ بالمنى

أو قد يكون رحمها مصابا بدمامل مما يسبب التهاباً فى الغشاء الرحمى الذى يعوق الحمل. وحتى لو حملت لحالت الدمامل دون اكتمال الجنين. أو قد يكون الرحم مصاباً بانقلاب يجعل الحمل صعباً جداً، كما يعيق الدورة الدموية ويسبب فيها اضطرابات تؤدى إلى أمراض غشائية تمنع تعشيش البويضة المخصبة.

وهذا مما يدل على أن العقم هو من أعسر المشكلات الطبية، ويتطلب علاجه فحصاً عميقاً قد يكون موضوعياً أو عاماً، كما يدفع الطبيب على افتراض كل الأعراض المرضية، مما يحتاج إلي خبرة واسعة وحذق وبعد نظر. وأما المرأة العاقر فعليها الاعتصام بالصبر والأمل.

التحفظات ضد العقم :

نذكر هنا بعض التوجيهات للنساء المصابات بعقم ناجم عن سبب ما اللواتى لا يردن استشارة طبيب أخصائى :

١- تمديد فترة الجماع : يظن معظم الأزواج أن الاتصالات الجنسية العديدة تؤدى إلى إخصاب المرأة. هذا خطأ والعكس هو الصواب. فالمرأة التى تفرط فى الجماع تقل قوة إخصابها.

٢- هدنة عدة أسابيع: على الزوجين أن يزهدا فى الجماع عدة أسابيع. وفى فترة الراحة هذه يتخلص دم المرأة من جراثيم الدفاع العرضية التى تفتك بالمنى.

٣- المياه : لقد لوحظ فى الغالب أن العلاج بالمياه المعدنية له تأثيره الفعال دون معرفة الأسباب. فالمحيط والمناخ وطريقة العيش والتنظيم الغذائى والمشروبات المعدنية والحمامات والتدليك والطمأنينة، كلها تسبب تبدلا فى جسم المرأة ونفس المرأة. وبهذا يتجدد ويتنشط شبابها فتستفيد إذا جامعت زوجها.

٤- تحديد فترة العلاقات الجنسية : يقتصر الجماع على الفترة الأكثر إخصابا من مراحل الدورة الشهرية.

٥- تبديل أوقات الجماع : إذا بدل الزوجان أوقات وأشكال الجماع قد يعود ذلك عليهما بالفائدة. فعوض أن يتم فى المساء حين يكونان تعبين فليؤجل ذلك إلى الصباح حيث يستعيدان نشاطهما، بشرط أن يحرضا الغدد والعضلات قبل الجماع. وعند الانتهاء يجب أن يلجا إلى الحمامات الحارة والرياضة والتدليك وتناول فطور جيد مع البيض والأقاويه وبعض المقبلات، مما يحرك الأمزجة ويزيد إفراز الغدد والأغشية. ومعرفة أصول العيش، فضلا عن اللذة، تعتبر انفع من كل الوصفات الطبية.

التلقيح الا صطناعى :

ويلجأ الطبيب إلى التلقيح الاصطناعى فى حالات معينة من العقم تصيب المرأة ويكون منشؤها عيب ما عند الزوج كاحتقان البول فى الجهة الداخلية من القضيب واحتقان الغازات المثيرة للشهوة التى تعيق الجماع. ثم اضطرابات القذف (سرعة الانزال والقذف "خارج المهبل") وعجز الرجل الكلى وانقباض عضلات المهبل.

فعلى الطبيب أن يأخذ منى الرجل فى أنبوب نظيف ثُم يحقنه فوراً في التجويف الرحمى قبل أن يبرد.

أول تلقيح اصطناعى أجراه سنة ١٧٨٠ الفيزولوجى الكاهن الايطالى لازارو سبالانزانى، وكانت التجربة مقتصرة على أنثى الكلب.

وفى سنة ١٧٨١ أجرى التجربة علي أول امرأة الجراح الشهير جون هانز وتكللت تجربته بالنجاح إلا أنه أقر بأن التلقيح الاصطناعى لا ينجح دائماً. وفى أخصب الحالات تعطى النتيجة نجاحاً يساوى ٣٠٪.

ويقول البروفسور اللندنى آ. بورن " لكى يعطى التلقيح الاصطناعى نتيجته المرجوة يجب أن يقتصر على اليوم الحادى عشر أو الثانى عشر من الدورة الشهرية، لأنه فى هذا الوقت تخرج البويضة لتفتش عن المنى".

إرشادات موجهة إلي النساء :

يتسرع بعض الأطباء فى أحكامهم على مشكلة النسل ويقولون من غير تردد : " لن تنجب أطفالا بعد الآن!" والمرأة التى سبق وأنجبت أطفالا تفرح لهذا النبأ وتهمل كل الاحتراسات التى تعودت عليها. وسرعان ما تندم بعد حين، إذ تجد نفسها حاملاً. أما المرأة العاقر فتتألم من الحكم القاسى الذى أطلقه الطبيب، وبعد أن تكون قد استشارت أطباء عديدين من غير نفع، تراها تخضع لمشيئة القدر وتقطع الأمل وتتجاوز الأربعين وسن اليأس، وفجأة تصبح أماً، تماماً كما حدث لسارة التى ضحكت من النبوءة، وستذكر حينذاك دون شك أن حنة النساوة قد أنجبت الملك لويس الرابع عشر بعد عقم دام ٢٢ سنة! فالجسم البشرى ليس بآلة بل عضو حى يتبدل بدون انقطاع.

فقد يحدث أن تكون المرأة عاقراً وبعد زمن ما تخصب بسبب بعض تبدلات داخلية كتنشيط المبيض أو الغدد الأخرى كما أن تركيب الدم يمكن أن يتبدل. وقد حدثت عدة إخصابات غير معقولة وحتى بعد عمليات جراحية مسببة للعقم الدائم، كالحمل مثلا بعد استئصال البوقين، بعد الفحص تبين أن هناك قناة لا ترى إلا بالمجهر قد امتدت مكانهما.

العقم الدائم الذى لا علاج له:

نذكر فيما يلى الحالات التى تكون فيها المرأة عاقراً ولا يفيدها أى علاج :

١- إذا كان أحد المبيضين مستأصلا.

٢- إذا استؤصل الرحم، أو على الأقل "جسمه".

٣- إذا إنسدت فوهة البول الخارجية أو قعر المهبل.

ونذكر هنا الحالات التى يكون للمرأة فيها نصيب ضئيل فى الحمل:

١- إذا لم يأتها الحيض أبداً.

٢- إذا انقطع الحيض بعد مرور سن اليأس، أو تقلقل نظامه منذ عدة سنوات دون أن تصل المرأة إلى سن اليأس.

٣- إذا انسد البوقان منذ عدة سنوات أو تعطلا وأصبحا كجرابين لا شكل معين لهما.

٤- إذا استأصل الجراح البوقين.

الحمــــل

يبدأ الحمل بالإخصاب - إلتقاء الحيوان المنوى بالبويضة فى أحد أنبوبي فالوب، فالمنى يتغلغل فى داخل البويضة ليعلن عن تكوين حياة جديدة، ومع أن عملية الإخصاب دقيقة للغاية، ولكنها مازالت تؤدى دوراً تمثيلياً رائعاً.

إن الحيوان المنوى طوله واحد من خمسمائة من البوصة (هو وذيله) وعرضه واحد من ٨٠٠٠ من البوصة، ولهذا تعتبر البويضة مارداً بحجمها تجاهه، فقطرها يبلغ جزءاً من ٢٥٠ من البوصة، بينما يزيد وزنها عن وزن المنى خمسين ألف مرة، وقدروا أن كتتباناً مليئاً بخلايا المنى من شأنه أن يضاعف عدد سكان الأرض إن توفر له صندوق حذاء ملئ بالبويضات!.

فى خلال الاتصال الجنسى يقذف الذكر حوالى ٤٠٠ مليون خلية من الحيوانات المنوية داخل المهبل : لم كل هذا؟ لأن مناخ المهبل الحمضى يقتلها بالملايين عقب انطلاقها.

وفى شكلها الشبيه بفراخ الضفادع، برؤوسها المستديرة، وأذيالها الطويلة التى تستعملها كالدواسر، تنطلق عبر إفرازات المهبل وعنق الرحم بسرعة مقدارها عشر البوصة فى الدقيقة. وهذه الرحلة مداها سبع بوصات - رحلة تقطعها بين عنق الرحم والزحم والأنبوبين لتلقى البويضة المنتظرة. إنها رحلة ٥٠٠ ميل ضد التيار لسمكة السلمون، ومع ذلك فإن الحيوان المنوى يقطع المسافة فى أقل من ساعة أحياناً!

ولا يبقى منها إلا الأقوى ليمر فى عنق الرحم، حيث يجد مناخاً ودوداً، مناخاً تغلب فيه المادة القلوية على المادة الحمضية. غير أن الكثير منها يموت هنا أيضاً، أو يتجه إلى الأنبوب الآخر. ولا تنتهى المعركة، فالخلايا التى وجدت طريقها تضطر إلى مكافحة التيار الهدبى والتقلصات العضلية التى تدفع بالبويضة إلى الرحم. والتى تصل إلى البويضة قد تخطئ الهدف أيضاً حتى ولو بجزء مليون من البوصة. وهذه تبقى فى الأنبوب إلى أن تموت.

من ٤٠٠ مليون حوينة منوية مندفعة، تصل إلى البويضة حوالى ألفين فقط، وفى الوسع أن نراها بواسطة المجهر وهى تكافح ببطولة لتصل إلى حرمها الداخلى الذى يؤدى إلى الكروموزومات الملونة والنواة، وكل خلية منوية تطلق الأنزيمات التى تفتح الطريق إلى المنطقة الشفافة. وهى الغلاف الخارجى الصلب للبويضة، ومتى فعلت هذا تجد الباقيات طريقها فوراً إلى قلب البويضة.

هنا تسد طبيعة آلية مبهمة المنافذ المؤدية إلى جوف البويضة، وسرعان ما تموت الحوينات الزائدة من الإرهاق، ولكن فى داخل البويضة تكون الكروموزومات الثلاثة والعشرون للحيوان المنوى الواحد الناجح قد اندمجت بالكروموزومات الثلاثة والعشرين للبويضة. وتبدأ حياة جديدة، اسمها اللاقحة.

وإلى جانب هذه الصعوبات والعقبات، تنشأ صعوبة التوقيت، فالحيوان

المنوى لا يستمر فى عمله الرتيب بيسر وسهولة، لأن البويضة تموت إن لم يتم إخصابها فى فترة معينة، فى العادة بويضة واحدة تصلح للتخصيب كل شهر، ومتى دخلت أنبوب فالوب لا تعيش أكثر من ١٢ ساعة فى حالة اللاتخصيب، أما خلية الحيوان المنوى فمتوسط بقائها حية يبلغ ٤٨ ساعة. هذا يوفر بعض الوقت، إلا إن احتمالات التخصيب تبقى محدودة الزمن لا تتجاوز منتصف الدورة الحيضية.

ورغم العراقيل الطبيعية فإن التخصيب يقع بنظام فريد يدهش البعض، ويقلق البعض الآخر، وخصوصا أولئك الذين يفكرون بخوف ووجل للانفجار السكانى الوشيك، ففى كل ثانية تحبل أربع نساء فى الدنيا، ورغم هذا، فإن الحبل قد لا يتم فى الشهر الأول من المحاولة أو الثانى أو الثالث.

وأثبتت الدراسات أن ٢٣ بالمئة من النساء اللواتى يردن الحبل يتم لهن ذلك فى الشهر الأول، وفى نهاية الشهر الثالث نجد أن ٤٠ بالمئة منهن لم يحبلن، كما أن حوالى ٣٠ بالمئة من البويضات التى خصبت لا تنجح فى مواجهة التطورات الباكرة، ولهذا فإن الكثيرات يعين بدقة تاريخ الإباضة (خروج البويضة من المبيض) لنيل أربهن من الحبل فى الوقت المرغوب.

الأم خلال الحمل

تغيرات كثيرة تنبت من تكيفات تطرأ على جسم المرأة الحامل، وإلا لفاقت المشقات كل التوقعات، ولكان المخاض عسيراً والولادة أشد عسراً. وهذه التكيفات تمتد وتستمر حتى بعد الولادة، وانهماك الأم بطفلها وإقبالها عليه بما يلزمه من عناية ورعاية.

بيد أن من التبدلات ما لا يكون ملائماً، وبالتالى تكون ردود الفعل معاكسة للحالة التى ينبغى للمرأة أن تنسجم معها وتنصهر فى بوقتها، وكأن

الجسم والأحاسيس أبت أن تتجاوب بطريقة مؤاتية مفيدة. فمن الصعب مثلا أن يقتنع الإنسان، وبنوع خاص الحامل، كيف يكون فقد الشهية للطعام، والغثيان، والقئ فى مستهل مدة الحمل مفيداً يساعد الحامل ويساعد الطفل فى أحشائها. ولكن هذه الأعراض تصيب معظم النساء الحبالى، ولذلك يجب اعتبارها من الأمور الطبيعية المقترنة بحالات الحمل كلها.

وهى فى العادة أعراض خفيفة - إلا فيما ندر، ولا تدوم، بل تأخذ فى الإنحسار رويداً رويداً، حتى تزول تماما بعد ثلاثة أو أربعة أشهر. ومتى كان القئ معتدلا لا ينقص من الوزن أكثر من كيلو غرامين، فلن يضير المرأة ويلحق بها الأذى، وهو كذلك لا يؤثر تأثيراً خطراً في الجنين، فالطفل له الأفضلية دائماً فى الغذاء داخل الجسم، وله من الخلاصة (السخد) خير واق متى أكلت الطعام فى شئ كثير من التردد والإحجام بعد فقد الشهية.

الصبغ :

الصبغ البنى فى الجلد يزداد بصورة ملحوظة، وخصوصا فى المواقع التى يكون للصبغ وجود قبل الحمل، أو فى المواقع المتعرضة للشد والضغوط، كموقع الخصر، والحامل عادة يظهر على بطنها خط داكن، ويتأثر الوجه أحياناً، ومتى كان الصبغ فاحماً وظاهراً بوضوح فإنه يسمى "قناع الحمل"، وأشعة الشمس القوية تزيد من هذا، وعليه يحسن بالحامل التى من هذا النوع أن تتجنب الحمام الشمسى، فلا تعرض نفسها للأشعة النافذة. غير أن الصبغ يخف بعد الولادة، ولكنه لا يزول تماماً، وتبقى منه آثار على الوجه.

علامات المد :

قد تظهر علامات المدّ على البطن والثديين، وأحياناً على الردفين، فى

الأشهر المتقدمة من الحمل، وسببها عدم انمغاط الأنسجة الأشد عمقاً فى الجلد مقدار انمغاط الأنسجة السطحية.

وهذا يصيب على الأرجح المرأة التى يضاف وزن كبير إلى وزنها، ولكنه يصيب أيضاً النساء النحيلات، وتكون العلامات فى اليد، حمراء تستحك المصابة بها، وبعد الولادة تخف تدريجياً، ولا تبقى منها إلا آثار بيضاء فضية.

تطرى الأنسجة :

الأنسجة الليفية الضامة فى الجسم تلين وتطرى، وتصبح قابلة للتمغط، والأرطة الجامعة لعظم الحوض ترتخى قليلاً وتقترب من بعضها ليمر الطفل مروراً سهلاً.

وأنسجة عنق الرحم وقاعدة الحوض حول فوهة المهبل تصيبها كذلك هذه الطراوة الماغطة، فتنفتح بسهولة عندما ينقبض الرحم لإخراج الطفل فى أثناء المخاض.

أوجاع وآلام:

من المؤسف أن هذا التمغط قد يحمل معنى تحرك عظام الظهر قليلاً خلال الحمل، ومعظم النساء يصيبهن وجع الظهر، وشعور وجيز بما يشبه ألم طعنة حول البطن من أسفله، وحول الحوض- ويكون السبب فى أحيان كثيرة انقراض عصب لدى تحرك العظام.

وعرق النسا فى الرجلين قد يكون أيضا مشكلة من مشاكل الحامل، هذه المنغصات تحدث على الأكثر فى المدة المتقدمة من الحمل حينما يكون البطن قد انتفخ وثقل، وتوازن المرأة تعدل لمواجهة تزايد وزن الجنين، وقد تصاب فجأة فى الليل بعقال الساقين فتقلق نفسها وينتابها من المضض شىء كثير، وعليها متى

وقع هذا أن تقف قرب الفراش وتدلك العضلات تخفيفاً من الألم، أما إذا استمر فلتحاول رفع قدمها لتصل إلى ركبتها.

الهرمونات :

الهرمونات التى ينتجها السخد (الخلاصة) هى المنظمة الرئيسية لوظائف الجسم، والتكيف، والنمو أثناء مدة الحمل، وهذه شبيهة بالاستروجين والبروجسترون اللذين ينتجهما المبيضان خلال دورة الحيض.

التفكير بالطعام :

لا غنى عن الطعام المتوازن أثناء الحمل لدوام الصحة والقوة، مع أنه ليس من الضرورى أن تأكل المرأة عن اثنين، ويجب أن يتمثل فى الطعام القدر الكافى من البروتين والكربوهيدرات، والدهن، والفيتامينات، والمعادن، والمآكل الخشنة، توفيراً للطاقة، وإبقاء على صحة الأعضاء ولياقتها، وتحريك الأمعاء بصورة منظمة، حتى لو كان الطعام أقل من اللازم،

فإن الطفل لا يتأثر بل يستمر فى نمائه، لأن جسم الأم يعمل عمل الاحتياطى الذى منه يتلقى الجنين التغذية، إلا أن الأم تصاب بالضعف دون ريب، فتتهافت بسرعة لأقل جهد تبذله، وتتعرض للمضاعفات، كفقر الدم والتسمم، والمخاض قبل الأوان، ويشح لبنها، وكل هذا يؤثر فى الطفل نحو غير مباشر.

عناصر الطعام المتوازن :

بروتين : البروتين مادة لها شأن كبير فى صنع الأنسجة وترميمها، والحامل تحتاج إلى المزيد منه تقوية ودعماً للجنين، والسخد، والرحم، والثديين، وكذلك استزادة من الدم، ومن الضرورى أكل الطعام الغنى بالبروتين، كاللحم،

والدجاج، والطيور، والسمك، والجبن، والحبوب، كما ينبغى للحامل أن تكثر من شرب الحليب.

الكربوهيدرات : مشتقاته تؤكل غالباً كمصدر للطاقة، وهو موجود فى الأطعمة الغنية بالسكر، والنشاء، والدقيق، كالمربات، والكعك، والخبز، والحبوب، والأرز، ولكن الإسراف فى تناول الأطعمة هذه يفضى إلى الإكتناز فى الجسم.

الدهون : بما فيها الزيوت، ولها أهمية من حيث تكثيف الطاقة وتركيزها، وتحتوى من الوحدات الحرارية أكثر مما يوحى بذلك مظهرها. وأكثر الطعام الغنى بالبروتين الحيوانى غنى أيضاً بالدهن، وكذلك البندق، والجوز، والزيتون، والزبدة، والكريم، وزيوت الطهو.

الفيتامنات: مواد لا ينتجها الجسم ، ومع ذلك فهى بكميات صغيرة من لزوميات الصحة الحسنة، والكافى من الفيتامينات متوفر إذا احتوى الطعام على البروتين، مع الفواكه الغضة، والخضر الغضة، وليس من الضرورى عادة تعاطي أقراص الفيتامين ما لم ينصح الطبيب بذلك.

المعادن : تؤخذ من أكثر ألوان الطعام، ولكن الحديد استثناء وحيد، أحيانا لا يمتصه الجسم كما يجب فيفضى النقص إلى فقر فى الدم (نقص الحديد)، ولهذا يتوجب على الحامل أن تأخذ أقراص الحديد المحتوية على حمض الفوليك اعتباراً من شهر الحمل الخامس، وتحتاج الحامل إلي الكالسيوم المساعد على تكوين العظم والأسنان، وكذلك المساعد على انتاج اللبن. والمرأة التى لا تشرب اللبن (الحليب) فى أى شكل من أشكاله، وترضع الطفل رغم ذلك، تستفيد فائدة كبيرة متى ابتلعت أقراص الكالسيوم، والماء يجب أن تشربه بكثرة، لأنه يضمن تصريف البول، والتبريز المنتظم، وهذان أمران لا يجوز أن تغفل عنهما المرأة لما لهما من أهمية.

الطعام الخشن : متوافر فى الفواكه والخضر الغضة، وفى كل أنواع الحبوب غير المعبوث بها تجارياً، كالنخالة، الطعام الخشن يقلل من الإمساكن ويضمن للمرأة حسن الحال والشعور براحة البال.

أحلام:

قد تكون غريبة عجيبة، وقد تكون عنيفة، مرعبة، مفزعة، قد تحلمين أنك ولدت طفلاً يركض، وشعره المسترسل يتماوج ظهره، وأنه يكلمك، وتتنبهين من رقادك مبغوتة، وكأنك رأيته فى الحلم ضالاً هائماً على وجهه، يطلبك فلا يجدك، وتطلبينه فلا تجدينه! ومن الأحلام المزعجة ما يصور لك إغفالك لطعامه وشرابه إغفالاً اهزل جسمه، وأسقم صحته.

ولكن الأحلام فى معظمها تتركز على المخاض وما يتبعه، والقليل منها يدور حول الولادة وما يتبعها.

فضل الاستمتاع بالزوجة وأدابه

فضل الاستمتاع بالزوجة:

إذا كان الحق سبحانه وتعالى أباح لكل من الزوجين أن يستمتع بالآخر على النحو المقصود شرعا فإن من نعمه سبحانه وتعالى على المسلمين أنه جعل هذا الاستمتاع فيما بين الزوجين سببا لحصول الثواب من الله عز وجل يدل على ذلك ما روى عن أبى ذر رضى الله عنه أن ناسا من أصحاب النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وفى بضع أحدكم

صدقة قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر. (مسلم)

وفى رواية أخرى يقول ﷺ : «مباضعتك أهلك صدقة قلت يارسول الله : أنصيب شهوتنا ونؤجر؟ قال : أرأيت لو وضعه فى غير حقه كان عليه وزر؟ قلت: بلى قال : «أفتحتسبون بالسيئة ولا تحتسبون بالخير».

قال ابن قدامة : "ولأنه وسيلة إلى الولد وإعفاف نفسه وامرأته وغض بصره وسكون نفسه أو إلى بعض ذلك".

قال ابن رجب فى تعليقه على حديث أبى ذر: "ظاهر السياق يقتضى أنه يؤجر على جماعه لأهله بنية طلب الولد الذى يترتب الأجر على تربيته وتأديبه فى حياته ويحتسبه عند موته. أما إذا لم ينو شيئا بقضاء شهوته فهذا تنازع الناس فى دخوله فى هذا الحديث .. والحديث يدل بظاهره على أنه يؤجر فى إتيان أهله من غير نية فإن الباضع لأهله كالزارع فى الأرض التى يحرث ويبذر فيها وقد ذهب إلى هذا طائفة من العلماء ومال إليه أبو محمد ابن قتيبة فى الأكل والشرب والجماع.

وسئل الإمام أحمد ؟ يؤجر الرجل أن يأتى أهله وليس له شهوة ؟ فقال : إى والله يحتسب الولد وإن لم يرد الولد يقول هذه امرأة شابة لم لا يؤجر؟.

وهذا من محاسن الإسلام وعظمته ورفعة مكانته إذ يؤجر المسلم على قضاء رغباته وشهواته عندما يؤديها فى الحلال طلبا للعفة وتحصينا للنفس من الميل إلى المحرمات ورغبة في الحصول على الولد لما فى ذلك من بقاء النوع الإنسانى فى هذه الحياة.

آداب الاستمتاع بين الزوجين :

إذا كان الإسلام قد أباح استمتاع كل من الزوجين بالآخر على النحو المقصود شرعا وجعل حق الاستمتاع مشتركا فيما بينهما إلا أن هناك مجموعة من الآداب يستحب للمسلم أن يراعيها عند معاشرته زوجته منها:

١- التسمية عند الجماع :

بأن يقول بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما فى ذلك ولد لم يضره شيطان أبدا».

قال القاضى : قيل : المراد بأنه لا يضره أنه لا يصرعه الشيطان وقيل : لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته بخلاف غيره.

وقال ابن دقيق العيد : يحتمل أن لا يضره فى دينه وقال الداودى : معنى لم يضره : أى لم يفتنه عن دينه إلى الكفر.

وقال المناوى : " العلة ليست حدوث الولد فحسب بل هو وإبعاد الشيطان حتى لا يشاركه فى جماعه فقد ورد أنه يلتف حول إحليله إذا لم يسم ، والأهل والولد من رزق الله قال : والمراد لم يضره الشيطان فى أهل التوحيد وفيه بشارة عظمى أن المولود الذى يسمى عليه عند الجماع الذى قضى بسببه يموت على التوحيد.

٢- الاستتار عند الجماع :

لما روى عن عتبة بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردان تجرد العيرين».

٣- الملاعبة عند الجماع :

قال ابن قدامة : " ويستحب أن يلاعب امرأته عند الجماع لتنهض شهوتها لتنال من لذة الجماع مثل ما ناله".

لما روى عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن المواقعة قبل الملاعبة.

٤- عدم الإكثار من الكلام :

قال ابن قدامة : " ولا يكثر الكلام حال الوطء" لما روى قبيصة بن ذؤيب أن رسول الله ﷺ قال : «لا تكثروا الكلام عند مجامعة النساء فإن منه يكون الخرس والفأفأة». قال ابن قدامة : " ولأنه يكره الكلام حال البول وحال الجماع فى معناه.».

٥- ألا ينزع الرجل إذا فرغ قبلها حتى تفرغ:

لما روى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إذا جامع الرجل أهله فليصدقها ثم إذا قضى الرجل حاجته فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها».

قال المناوى :" فإن ذلك من حسن المعاشرة والإعفاف والمعاملة بمكارم الأخلاق والألطاف- ثم قال- : ويؤخذ من هذا الحديث أن الرجل إذا كان سريع الإنزال بحيث لا يتمكن معه من إمهال زوجته حتى تنزل أنه يندب له التداوى بما يبطىء الإنزال فإنه وسيلة إلى مندوب وللوسائل حكم المقاصد لأنه من العدل والمعاشرة بالمعروف ".

٦- ويستحب للمرأة أن تتخذ خرقة :

تناولها الزوج بعد فراغه يتمسح بها لما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : " ينبغى للمرأة إذا كانت عاقلة أن تتخذ خرقة فإذا جامعها

زوجها ناولته فمسح عنه ثم تمسح عنها فيصليان فى ثوبهما ذلك ما لم تصبه جنابة".

٧- الو ضوء بين الجماعين :

قال ابن القيم : " وشرع للمجامع إذا أراد العود قبل الغسل الوضوء بين الجماعين، وذلك لما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعاود فليتوضأ فإنه أنشط للعود».

جاء فى شرح زيد بن رسلان:" والحكمة فى ذلك تخفيف الحدث غالبا والتنظيف ودفع الأذى وقيل لعله ينشط للغسل ويزيد الجما ع فإن ذلك أنشط له".

قال ابن القيم: " وفى الغسل والوضوء بعد الوطء من النشاط وطيب النفس وإخلاف بعض ما تحلل بالجماع وكمال الطهر والنظافة واجتماع الحار الغريزى إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع وحصول النظافة التى يحبها الله ويبغض خلافها ما هو من أحسن التدبير فى الجماع وحفظ الصحة والقوى فيه".

التعريف بتجاوز حق الاستمتاع وحدوده فى الفقه الإسلامى

وفيه أمران:

الأول : التعريف بتجاوز حق الاستمتاع فى الفقه الإسلامى.

الثانى: حدود حق الاستمتاع فى الفقه الإسلامى.

أولا: التعريف الإضافى لمفهوم تجاوز حدود حق الاستمتاع:

هذا التعريف يستلزم التعريف بهذه المفردات كلا على حده على النحو التالى :

(أ) تعريف التجاوز:

التجاوز معناه في اللغة: الإفراط في الشيء وهو مصدر الفعل تجاوز أي أفرط، ويعبر عنه بالغلو في الشيء أو الشطط فيه والإسراف في فعله وهو مذموم ، وفي التعاريف "كل شيء جاوز الحد فهو فاحش" ويعبر عنه أيضا بالإسراف في كل فعل يفعله الإنسان، ويعبر عنه أحيانا بالظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه.

(ب) تعريف كلمة حدود :

الحدود جمع جد والحد في اللغة: المنع ومنه سمي البواب حدادا لمنعه الناس عن الدخول في الدار، أو هو الحاجز بين الشيئين وحد الشيء منتهاه تسمية بالمصدر وحد الشيء: الوصف المحيط بمعناه وحدود الله تعالى محارمه

قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) ﴾ [البقرة]

وحدود الله تعالى أيضا ما حده وقدره فلا يجوز أن يتعدى كالمواريث المعينة ونحو ذلك فما حده الشرع لا يجوز فيه الزيادة ولا النقصان.

قال تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ [البقرة].

والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لأنها تمنع من الوقوع فى مثل ذلك.

وأما فى الاصطلاح : فالمراد به هنا فيما يبدو أنه : "الفاصل بين ما يحل وما لا يحل".

ثانيا: التعريف اللقبى لمفهوم :تجاوز حدود حق الاستمتاع:

بعد استعراض التعريفات السابقة لهذه المفردات يمكن تعريف تجاوز حق الاستمتاع باعتباره علما على هذا المفهوم بأنه "تعدى الرجل حقه فى الاستمتاع بزوجته الثابت شرعا بإتيانها على وجه لا يحل له الاستمتاع بها فيه شرعا أو طبعا أو عرفا أو نحو ذلك.

حدود حق الاستمتاع بالزوجة

إن الإسلام قد أباح لكل واحد من الزوجين أن يستمتع بالآخر على النحو المقصود شرعا حتى يتحقق العفاف والتحصين لكل واحد منهما وابتغاء للحصول على الولد لما فى ذلك من بقاء النوع الإنسانى فى هذه الحياة.

إلا أن الإسلام لم يجعل هذا الحق مطلقا وإنما قيده بقيود معينة وهذه القيود تتنوع إلى أربعة أنواع :

أولا: قيود تتعلق بمحل الاستمتاع :

إذا كان الإسلام أباح للمسلم إتيان المرأة كيفما أراد قائمة وقاعدة وباركة ومستلقية إلا أن ذلك مقيد بأن يكون فى محل الحرث وهو الفرج.

وعلى ذلك لا يجوز إتيان المرأة فى الأماكن التالية:

١- الإتيان فى الدبر.

٢- الإتيان فى المكان العام.

٣- الإتيان فى المسجد.

٤- الإتيان فى الفم

ثانيا: قيود تتعلق بزمان الاستمتاع:

ليس للرجل أن يأتى زوجته فى جميع الأوقات وإنما ذلك مقيد بعدم الإتيان فى أوقات معينة هى :

١- الإتيان فى نهار رمضان.

٢- الإتيان أثناء الاعتكاف.

٣- الإتيان أثناء الإحرام بالحج والعمرة.

٤- الإتيان بعد الوفاة.

ثالثا: قيود تتعلق بظروف معينة :

وذلك لأن هناك ظروفا وأحوالا تعترى الرجل والمرأة تمنع من حل الاستمتاع فيما بين الزوجين وهذه الظروف هى :

١- الجماع عند إصابة أحد الزوجين بمرض معد كالإيدز

٢- الجماع أثناء الحيض والنفاس

٣- الجماع أثناء الظهار وقبل التكفير

٤- الجماع مع قيام مانع بأحد الزوجين كأن يكون الزوج عبلا أو تكون المرأة صغيرة أو نضوة الخلق لا تطيق الجماع.

٥- العزل عن المرأة الحرة بغير رضاها.

٦- مباشرة أكثر من زوجة فى فراش واحد.

رابعا: قيود تتعلق بالاستمتاع بالزوجة بغير الوطء:

وتتمثل هذه القيود فيما يلى:

١- رضاع الرجل من زوجته عند من يرى أن رضاع الكبير محرم.

٢- إفشاء الأسرار المتعلقة بالجماع.

٣- تسجيل الجماع بين الزوجين ومشاهدة الأفلام الجنسية من أجل الإثارة.

٤- استخدام الأدوية والمنشطات من غير حاجة.

٥- المحافظة على جمال البضع عن طريق اللجوء إلى الولادة القيصرية من غير حاجة.

وعلى هذا فإن استمتاع الرجل بزوجته مباح شرعا بشرط عدم وجود قيد من القيود السابقة.

وفيما يلى بعض لنصوص وأقوال الفقهاء التى تعالج حدود حق الاستمتاع بالزوجة.

جاء فى كشاف القناع "وللزوج الاستمتاع بزوجته فى كل وقت على أى صفة كانت إذا كان الاستمتاع فى القبل ولو كان الاستمتاع فى القبل من جهة عجيزتها لقوله تعالى:

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ [البقرة].

والتحريم مختص بالدبر دون سواه ما لم يشغلها عن الفرائض أو يضرها فليس له الاستمتاع بها إذن لأن ذلك ليس من المعاشرة بالمعروف وحيث لم يشغلها عن ذلك ولم يضرها فله الاستمتاع ولو كانت على التنور أو على ظهر قتب (جمل) .

وجاء فى كتاب الكافى فى فقه الإمام أحمد ؟ وله الاستمتاع بها فى كل وقت من غير إضرار بها ولا منعها من فريضة".

وجاء فى المحلى :"وفرض على الأمة والحرة ألا يمنعا السيد والزوج متى دعاهما ما لم تكن المدعوة حائضا أو مريضة تتأذى بالجماع أو صائمة فرضا".

وقال الكاسانى: مبينا موانع الوطء : "... أما المانع الحقيقى فهو أن يكون أحدهما مريضا مرضا يمنع الجماع أو صغيرا لا يجامع مثله أو صغيرة لا يجامع مثلها... وأما المانع الشرعى فهو أن يكون أحدهما صائما صوم رمضان أو محرما بحجة فريضة أو نفل أو بعمرة أو تكون المرأة حائضا أو نفساء لأن كل ذلك محرم للوطء فكان مانعا من الوطء شرعا... وأما المانع الطبيعى فهو أن يكون معهما ثالث لأن الإنسان يكره أن يجامع امرأته بحضرة ثالث ويستحيى فينقبض عن الوطء بمشهد منه".

الحكم الفقهى للإتيان فى الدبر فى الفقه الإسلامى

تحرير محل النزاع :

لا خلاف بين الفقهاء فى أنه يجوز للرجل أن يأتى امرأته قائمة وقاعدة مقبلة ومدبرة، مستلقية أو على جنب إذا كان ذلك فى الفرج كما أنه لا خلاف بين الفقهاء فى جواز إيلاج الفرج بين الإليتين من غير إيلاج فى الدبر.

قال ابن المرتضى : "ويجوز الاستمتاع بحلقة الدبر لكن لا بإيلاج". وإنما وقع الخلاف بينهم فى حكم الإتيان فى الدبر.

مذاهب الفقهاء فى هذه المسألة:

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على رأيين :

الرأى الأول : ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والزيدية ورواية عند الإمامية والإباضية إلى حرمة إتيان المرأة في دبرها .

جاء فى المغنى : " ولا يحل وطء الزوجة فى الدبر فى قول أكثر أهل العلم منهم على وعبد الله وأبو الدرداء وابن عباس وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة والشافعى وأصحاب الرأى وابن المنذر".

وقال ابن نجيم : "....... إتيان المرأة فى دبرها حرام بإجماع الفقهاء".

الرأى الثانى : ذهب بعض الفقهاء إلى القول بإباحة إتيان الرجل زوجته فى دبرها وممن نسب إليه هذا القول نافع وابن عمر فقد نقل نافع عن ابن عمر أنه كان يقول : المراد من الآية: " تحرير إتيان النساء فى أدبارهن".

وهو قول الشيعة الإمامية مع الكراهة. جاء فى المختصر النافع "ووطء الزوجة في الدبر فيه روايتان: أشهرهما الجواز على الكراهة" ونسب هذا القول إلى الإمام مالك رضى الله عنه من روايات كثيرة.

فقد روى عنه أنه قال : " إنه أحل من شرب الماء البارد".

قال ابن قدامة: " وروى عن مالك أنه قال : ما أدركت أحدا اقتدى به فى دينى يشك فى أنه حلال".

ونسب أيضا إلى الإمام الشافعى – رضى الله عنه – فقد حكى ابن عبد الحكم عن الشافعى أنه قال :" لم يصح عن رسول الله ﷺ فى تحريمه ولا فى

تحليله شىء والقياس أنه حلال" وممن نسب إليه هذا القول سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب القرظى، قال الكيا الطبرى : وروى عن محمد بن كعب القرظى أنه كان لا يرى بذلك بأسا وروى أيضا عن ابن الماجشون وهو اختيار السيد المرتضى من الشيعة والمرتضى رواه عن جعفر بن محمد الصادق- رضى الله عنه- .

سبب الخلاف فى هذه المسألة :

يرجع سبب الخلاف فى هذه المسألة إلى أمرين :

الأول : اختلاف الفقهاء فى معنى (أنى) الواردة فى قوله تعالى :

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ [البقرة]

هل هى بمعنى أين أو كيف ؟ فمن رأى من الفقهاء أنها بمعنى أين ذهب إلى حل إتيان الرجل لزوجته فى دبرها ومن رأى أنها بمعنى كيف قال بعدم الجواز.

الأمر الثانى : اختلافهم فى إطلاق لفظ الحرث على المرأة هل هو من قبيل الحقيقة أم من قبيل المجاز؟ فمن رأى أن إطلاق لفظ الحرث على المرأة من باب المجاز ذهب إلى عدم جواز إتيان المرأة فى دبرها ومن رأى أن لفظ الحرث يطلق حقيقة على المرأة ذهب إلى حل إتيان المرأة فى دبرها.

الأدلة :

(أ) أدلة الرأى الأول : استدل جمهور الفقهاء القائلون بحرمة إتيان المرأة فى دبرها بما يلى :

أولا: من الكتاب:

١- قوله تعالى في آية المحيض: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة].

وجه الدلالة: إن الله عز وجل جعل قيام الأذى علة لحرمة إتيان موضع الأذى ولا معنى للأذى إلا ما يتأذى الإنسان منه وههنا يتأذي الإنسان بنتن روائح ذلك الدم وحصول هذه العلة فى محل النزاع أظهر فإذا كانت تلك العلة قائمة هاهنا وجب حصول الحرمة.

٢- قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة].

وظاهر الأمر للوجوب ولا يمكن أن يقال: إنه يفيد وجوب إتيانهن لأن ذلك غير واجب فوجب حمله على أن المراد منه أن من أتى المرأة وجب أن يأتيها فى ذلك الموضع الذى أمر الله تعالى به، ثم هذا غير محمول على الدبر لأن ذلك بالإجماع غير واجب، فتعين أن يكون محمولا على القبل وهو المطلوب.

٣- قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾ [البقرة].

وجه الدلالة من وجهين:

الأول: إن سبب نزول هذه الآية ما روى عن جابر رضى الله عنه قال: كانت اليهود تقول من أتى امرأته فى قبلها من دبرها جاء الولد أحول فنزلت هذه الآية.

قالت أم سلمة : عن النبى ﷺ : يأتيها مقبلة ومدبرة إذا كان فى صمام واحد".

الوجه الثانى : أن قوله ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ يدل على أن الإتيان في غير المأتى حرام وقوله : ﴿حَرْثٌ﴾ تشبيه لأنهن مزدرع الذرية فلفظ الحرث يعطى أن الإباحة لم تقع إلا فى الفرج خاصة إذ هو المزدرع وأنشد ثعلب :

إنما الأرحام أرضون لنا محترثات - فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

ففرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالنبات فالحرث بمعنى المحترث قال ابن عباس : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُم﴾ يعنى : الفرج.

ثانيا: من السنة :

١- قوله ﷺ : إن الله لا يستحيى من الحق لا تأتوا النساء فى أعجازهن.

٢- ما روى عن أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها».

٣- ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«محاش النساء حرام عليكم».

٤- ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد».

٥- ما روى أيضا عن أبى هريرة أن النبى ﷺ : قال: «ملعون من أتى امرأة فى دبرها».

٦- ما روى عن خزيمة بن ثابت الأنصارى أن رجلا سأل النبى ﷺ عن

إتيان النساء فى أدبارهن فقال رسول الله ﷺ : حلال فلما ولى الرجل دعاه فقال : كيف قلت ؟ فى أى الخربتين؟ أو فى أى الخرزتين أو فى أى الخصفتين؟ أمن قبلها فى قبلها فنعم أمن دبرها فى قبلها فنعم أمن دبرها فى دبرها فلا؟ إن الله لا يستحيى من الحق فا تلأتوا النساء فى أدبارهن».

٧- ما رواه الإمام أحمد فى مسنده أن النبى ﷺ قال: « الذى يأتى امرأته فى دبرها هى اللواطة الصغرى».

وجه الدلالة من هذه الأحاديث:

أفادت هذه الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ حرمة إتيان الرجل لأهله فى موضع الأذى على اختلافها واختلاف رواياتها وقد توعد رسول الله ﷺ الذى يفعل ذلك باللعن ولا يلعن المسلم إلا على فعل كبيرة بل إن بعض الأحاديث صرحت بكفر من يأتى امرأته فى دبرها مستحلا له.

كما أن هذا العمل فيه تشبه بقوم لوط وقد سماه رسول الله ﷺ اللوطية الصغرى وهذا كله يدل على حرمة إتيان الرجل لأهله فى موطن القذر.

ثالثا من الإجماع :

حيث أجمع علماء الأمة سلفا وخلفا ممن يعتد بقولهم على حرمة إتيان الرجل لامرأته فى دبرها قال الماوردى : "ولأنه إجماع الصحابة وروى ذلك عن على بن بن طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود وأبى الدرداء.... وليس لمن ذكرنا من الصحابة مخالف فصار إجماعا".

رابعا: من الأثر:

١- ما روى أن رجلا سأل عليا رضى الله وعنه عن إتيان المرأة فى دبرها

فقال : سفلت سفل الله بك ألم تسمع قول الله عز وجل؟ : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) ﴾ [الأعراف].

٢- جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنه وقال: كنت أتى أهلى فى دبرها وسمعت قول الله تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ فظننت أن ذلك حلال لى فقال : يا وكيع إنما قوله ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة فى أقبالهن لا تعدو ذلك إلى غيره.

٣- سأل رجل ابن عباس رضى الله عنه عن إتيان المرأة فى دبرها فقال : تسألنى عن الكفر!

وجه الدلالة من هذه الآثار:

أفادت الآثار السابقة الواردة عن على وابن عباس - رضى الله عنهما - حرمة إتيان الرجل امرأته فى الموضع المكروه وذلك لأنهم حضروا عصر النبوة وفهموا ذلك عن رسول الله ﷺ وذلك مما يدعونا إلى العمل بهذه الآثار والقول بحرمة إتيان المرأة فى دبرها.

خامسا: المعقول من وجوه:

الوجه الأول : ما ذكر أبو عمر بن عبد البر بقوله : إن العلماء لم يختلفوا فى الرتقاء التى لا يوصل إلى وطئها أنه عيب ترد به ... لأن المسيس هو المبتغى بالنكاح وفى إجماعهم على هذا دليل على أن الدبر ليس بموضع وطء ولو كان موضعا للوطء ما ردت من لا يوصل إلى وطئها فى الفرج.

الوجه الثانى : إن الهدف من الزواج ليس الانغماس فى الشهوات فقط وإنما هناك غايات وأهداف أخرى مطلوبة فى هذه الحياة.

قال الكسانى: "ولأن حل الاستمتاع فى الدنيا لا يثبت لحق قضاء

الشهوات خاصة لأن لقضاء الشهوات خاصة دارا أخرى وإنما يثبت لحق قضاء الحاجات وهى حاجة بقاء النسل إلى انقضاء الدنيا إلا أنه ركبت الشهوات فى البشر للبعث على قضاء الحاجات".

الوجه الثالث : إن الوطء فى الحيض إذا كان قد حرم لأجل الأذي العارض فلأن يحرم الوطء فى الدبر لأجل الأذى الدائم من باب أولى.

قال ابن القيم: " وإذا كان الله عز وجل حرم الوطء فى الفرج لأجل الأذي العارض فما الظن بالحش الذى هو محل الأذي اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جدا من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان، وأيضا فللمرأة حق على الزوج فى الوطء ووطؤها فى دبرها يفوت حقها ولا يقضى وطرها ولا يحصل مقصودها، وأيضا فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له وإنما الذى هيىء له الفرج.

(ب) أدلة الرأى الثانى :

استدل القائلون بجواز إتيان الرجل أهله فى دبرها بما يلى :

أولا من الكتاب:

١- قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ [البقرة]

وجه الاستدلال بهذه الآية من وجهين:

الأول : إن الله تعالى جعل الحرث اسما للمرأة فقال تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ فهذا يدل على أن الحرث اسم للمرأة لا للموضع المعين فلما قال تعالى بعده: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ كان المراد فأتوا نساءكم أنى شئتم فيكون هذا إطلاقا فى إتيانهن على جميع الوجوه فيدخل فيه محل النزاع.

الوجه الثانى : أن كلمة (أنى) معناها أين قال تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ [آل عمران] والتقدير: من أين لك هذا فصار تقدير الآية : فأتوا حرثم أين شئتم وكلمة أين شئتم تدل على تعدد الأمكنة كقولك اجلس أين شئت ويكون هذا تخييرا بين الأمكنة.

قال الرازى : إذا ثبت هذا ظهر أنه لا يمكن حمل الآية على الإتيان من قبلها فى قبلها أو من دبرها فى قبلها لأن على هذا التقدير المكان واحد والتعداد إنما وقع فى طريق الإتيان واللفظ اللائق به أن يقال اذهبوا إليه كيف شئتم.

فلما لم يكن المذكور ههنا لفظة كيف بل لفظة (أنى) وثبت أن لفظة أنى مشعرة بالتخيير بين الأمكنة ثبت أنه ليس المراد ما ذكرتم بل ما ذكرنا

مناقشة هذا الاستدلال من وجوه:

الأول: لا نسلم أن الحرث اسم للمرأة بل الحرث اسم لموضع الحراثة ومعلوم أن المرأة ليست بجميع أجزائها موضعا للحراثة فامتنع اطلاق اسم الحرث على ذات المرأة ويقتضى هذا الدليل أن لا يطلق لفظ الحرث على ذات المرأة إلا أنا تركنا العمل بهذا الدليل فى قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ لأن الله تعالى صرح بإطلاق لفظ الحرث على ذات المرأة فحملنا ذلك على المجاز المشهور من تسمية كل الشىء باسم جزئه وهذه الصورة مفقودة فى قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ فوجب حمل الحرث ههنا على موضع الحراثة على التعيين فثبت أن الآية لا دلالة فيها إلا على إتيان النساء فى المأتى.

الوجه الثانى: إن قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ مع قوله تعالى :

﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ فلو دلت هذه الآية على التجويز لكان ذلك جمعا بين ما يدل على التحريم وما يدل على التحليل فى موضع واحد والأصل أنه لا يجوز.

الوجه الثالث : الروايات المشهورة فى أن سبب نزول هذه الآية اختلافهم فى أنه هل يجوز إتيانها من دبرها فى قبلها وسبب نزول الآية لا يكون خارجا عن الآية فوجب كون الآية متناولة لهذه الصورة ومتى حملناها على هذه الصورة لم يكن بنا حاجة إلى حملها على الصورة الأخرى فثبت بهذه الوجوه أن المراد من الآية ليس ما ذكروه.

الوجه الرابع: لا نسلم أن قوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ معناه : أين شئتم ، فقد اختلف المفسرون فى تفسيرها إلى عدة أقوال: قال الرازى : المشهور ما ذكرناه أنه يجوز للزوج أن يأتيها من قبلها فى قبلها ومن دبرها فى قبلها.

والثانى : أن المعنى أى وقت شئتم من أوقات الحل يعنى إذا لم تكن أجنبية أو محرمة أو صائمة أو حائضا.

والثالث : أنه يجوز للزوج أن ينكحها قائمة وباركة أو مضطجعة بعد أن يكون فى الفرج.

الرابع: قال ابن عباس : إن شاء عزل وإن شاء لم يعزل وهذا منقول عن سعيد بن المسيب.

الخامس : متى شئتم من ليل أو نهار، وقد ظهر من أقوال المفسرين أن سبب نزول هذه الآية هو أن اليهود كانوا يقولون من أتى المرأة من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله هذا لتكذيب قولهم فكان الأولى حمل اللفظ عليه وأما الأوقات فلا مدخل لها فى هذا الباب لأن "أنى" يكون بمعنى متى ويكون بمعنى كيف وأما العزل وخلافه فلا يدخل تحت "أنى" لأن حال الجماع لا يختلف

بذلك فلا وجه لحمل الكلام إلا على ما قلنا.

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ معناه عند الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من أى وجه شئتم مقبلة ومدبرة وبهذا فإن حمل (أنى) وتفسيرها (بأين) غير مسلم لما ذكر.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

وجه الدلالة: إن الله عز وجل أمر المسلمين بحفظ فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وهذا يقتضى إباحة وطء النساء فى أدبارهن لورود الإباحة مطلقة غير مقيدة بشىء ولا مخصوصة بمكان دون آخر.

قال الرازى: ترك العمل به فى حق الذكور لدلالة الإجماع فوجب أن يبقى معمولا به فى حق النسوان.

مناقشة هذا الاستدلال:

لا نسلم لكم الاستدلال بهذه الآية لأن هذا العموم الذي تمسكتم به قد خصصه قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فقد أبانت هذه الآية الموضع المأمور به شرعا وهو موضع الحرث الذى يأتى منه الولد.

وخصصه أيضا الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ التى تفيد حرمة إتيان النساء فى أدبارهن ومعلوم أن الخاص مقدم على العام كما هو معلوم فى علم الأصول.

٣- قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء].

وجه الاستدلال بهذه الآية : قال محمد بن كعب القرظى: وتقدير الآية: تتركون مثل ذلك من أزواجكم ولو لم يبح مثل ذلك من الأزواج لما صح ذلك فدل على أنه أباح من الأزواج ما حظره من الذكران.

مناقشة هذا الاستدلال:

قال القرطبى: ليس المباح من الموضع الآخر مثلا له حتى يقال تفعلون ذلك وتتركون مثله من المباح.

وبهذا يظهر أن المباح من الأزواج ليس هو الدبر وإنما هو المأتى الذى أحله الله عز وجل وهو محل الولد كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية .

قال الماوردى : المراد أتأتون المحظور من الذكران وتذرون المباح من فروج النساء.

ثانيا من المعقول: : قال الرازى: توافقنا على أنه لو قال للمرأة دبرك على حرام ونوى الطلاق أنه يكون طلاقا وهذا يقتضى كون دبرها حلالا له.

مناقشة هذا الاستدلال:

إن قول الرجل لامرأته دبرك على حرام إنما صلح أن يكون كناية عن الطلاق لأنه محل لحل الملامسة والمضاجعة فصار ذلك كقوله يدك طالق.

مناقشة ما نسب إلى بعض الصحابة والتابعين :

أولا: مناقشة ما نسب إلى ابن عمر:

١- أنكر كل من سالم بن عبد الله بن عمر ونافع مولاه ذلك.

(أ) أما سالم فقد نفى أن يكون هذا رأى أبيه وقال "إنما قال- يعنى أباه-

لا بأس أن يؤتين فى فروجهن من أدبارهن" وتكلم فى نافع كلاما شديدا.

قال سالم: كذب العبد على أبى وهذا مما يقوى غلط نافع على ابن عمر فإن الكذب كانوا يطلقونه بإزاء الخطأ.

قال ابن تيمية: فمن الناس من يقول غلط نافع على ابن عمر أو لم يفهم مراده وكان مراده أنها نزلت فى إتيان النساء من جهة الدبر فإن الآية نزلت فى ذلك باتفاق العلماء.

قال الرازى : وسائر الناس كذبوا نافعا فى هذه الرواية.

(ب) وأما نافع فقد بين أن الناس قد وهموا فيما فهموه من نقله عن ابن عمر.

روى النسائى عن أبى النضر أنه قال لنافع مولى ابن عمر قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر أنه أفتى بأن يؤتى النساء فى أدبارهن قال نافع لقد كذبوا على، ولكن سأخبرك كيف كان الأمر إن ابن عمر عرض على المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ "نساؤكم حرث لكم" قال يا نافع هل تدرى ما أمر هذه الآية ؟ قلت لا: قال : إنا كنا معشر قريش نجبى النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن ما كنا نريد من نسائنا فإذا هن قد كرهن ذلك وكان نساء الأنصار إنما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله سبحانه ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ .

(ج) كما أنه قد نقل عن ابن عمر خلاف ما نسب إليه فقد نقل عنه تكفير من فعله مستحلا له وهذا هو اللائق به رضى الله عنه روى الدارمى أبو محمد فى مسنده عن أبى سعيد بن يسار أبى الحباب قال : قلت لابن عمر ما تقول فى الجوارى حين أحمض بهن ؟ قال : وما التحميض ؟ فذكرت له الدبر فقال هل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟!

(د) روى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به والناكح يده، وناكح البهيمة، وناكح المرأة فى دبرها، وجامع بين امرأة وابنتها، والزانى بحليلة جاره ومؤذى جاره حتى يلعنه».

ومن خلال ما تقدم يظهر أن نسبة القول بإباحة وطء النساء فى أدبارهن إلى ابن عمر غير صحيحة لأن ذلك هو اللائق به كما أن ابن عمر ورد عنه أثر بخلاف ما نسب إليه كما أنه الراوى لحديث (سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ...».

وعلى هذا فمن نسب إلى ابن عمر هذا القول فقد غلط عليه كما قال ابن القيم.

ثانيا: مناقشة ما نسب إلى الإمام مالك :

يناقش ما نسب إلى الإمام مالك بما يلى :

١- لا نسلم لكم صحة نسبة هذا القول إلي الإمام مالك قال القرطبى : وما نسب إلى مالك وأصحابه من هذا باطل وهم مبرءون من ذلك.

٢- لا نسلم نسبة "كتاب السر" إلى الإمام مالك لأن حذاق أصحاب مالك ومشايخهم ينكرون ذلك الكتاب ومالك أجل من أن يكون له كتاب سر.

ولقد حقق العلامة الحطاب فى شرح مختصر خليل أن كتاب السر باطل عن الإمام مالك فلا اعتداد بما ينسب إليه من أقوال فى هذا الكتاب.

٣- ورد عن الإمام مالك - رضى الله عنه- ما يفيد تكذيبه لما نسب إليه وقد قال مالك لابن وهب وعلى بن زياد لما أخبره أن ناسا بمصر يتحدثون عنه أنه يجوز ذلك فنفر من ذلك وبادر إلى تكذيب الناقل وقال كذبوا على ، كذبوا

على، كذبوا على، ثم قال ألستم قوما عربا ألم يقل الله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ وهل يكون الحرث إلا فى موضع المنبت.

٤- على فرض صحة نسبة هذا القول إلى الإمام مالك وهو احتمال بعيد فهذا محمول على أنه كان يرى ذلك أولا ثم رجع عنه وقد حكى أن مالكا سئل عن ذلك فقال : الآن اغتسلت منه.

هذا هو اللائق بالإمام مالك رضى الله عنه وأصحابه لم يثبتوا عنه الروايات التى تفيد نسبة هذا القول إليه وأفتوا بتحريمه كما أنكر العراقيون الأثر المروى عنه والذى يفيد إباحة الوطء فى الموضع المكروه.

مناقشة ما نسب إلى الإمام الشافعى :

١- ما نسب إلى الإمام الشافعى من جواز إتيان المرأة فى دبرها فقد كذبه أصحابه قال الربيع : - تعليقا على نسبة القول بالإباحة إلى الشافعى - كذب والذى لا إله إلا هو قد نص الشافعى تحريمه فى ست كتب هذا هو الصحيح.

٢- إن ما نسب إلى الإمام الشافعى أساسه ما روى عن محمد بن عبد الحكم أنه سمع الشافعى يقول : "ما صح عن النبى ﷺ فى تحليله ولا تحريمه شىء والقياس أنه حلال".

وما ذكره ابن عبد الحكم هو قول قديم كان الشافعى يقول به يدل على ذلك مناظرة جرت بينه وبين محمد بن الحسن تبين منها أن محمدا كان يقول بالتحريم والشافعى يقول بالحل لأنه لم يثبت عنده عن رسول الله ﷺ فى التحريم دليل فلما صح عنده عن رسول الله ﷺ ما يدل على التحريم قال به ورجع عن قوله القديم.

٣- قال الحاكم : فأما الجديد فالمشهور أنه حرمه.

وقال المزنى : قال الشافعى : ذهب بعض أصحابنا إلى إحلاله وآخرون إلى تحريمه ولا أرخص فيه بل أنهى عنه.

جاء فى الأمة " وإباحة الإتيان فى موضع الحرث يشبه أن يكون تحريم إتيان فى غيره، فالإتيان فى الدبر حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان فى القبل محرم بدلالة الكتاب ثم السنة".

ومن خلال ما تقدم يمكن القول : إن نسبة القول بحل إتيان الزوجة فى دبرها إلى الإمام الشافعى عارية من الصحة وعلى فرض صحة نسبة ذلك إليه فإن ذلك قول قديم رجع عنه فى الجديد وما نقل عنه - رضى الله عنه- يؤكد ذلك.

مناقشة ما نسب إلى سعيد بن المسيب :

روى الطحاوى بسدنه عن ابن شهاب قال : كان سعيد بن المسيب ينهى أن تؤتى المرأة فى دبرها أشد النهى.

وما نسب إليه من القول بالحل يحتمل أن يكون قولا كان يقول به ثم رجع عنه أو أنه كان يتكلم عن جواز إتيان المرأة فى قبلها من دبرها فظن السامع أنه يقول بحل إتيان المرأة فى دبرها فنقل ذلك عنه وإلا فهذه النسبة المجردة من الإسناد لا تقاوم الروايات المسندة الصحيحة.

* وأما محمد بن كعب القرظى فقد روى عنه القول بالحل وروى عنه أنه سئل عن ذلك فأعرض وسكت وما إعراضه وسكوته إلا لأنه قد استقبح هذه المسألة.

الرأى الراجح فى هذه المسألة:

من خلال ما تقدم من عرض لأدلة الفريقين فى مسألة وطء المرأة فى دبرها يبدو رجحان ما ذهب إليه جمهور الفقهاء الذين ذهبوا إلى عدم جواز إتيان المرأة فى دبرها وذلك نظرا لقوة الأدلة التى اعتمدوا عليها من الكتاب والسنة والأثر والمعقول وما ورد عليها من مناقشة أمكن دفعها ومناقشتها مناقشة تؤدى إلى بطلانها وما استند إليه المخالف من أدلة فقد تمت مناقشتها مناقشة تؤدى إلى عدم جواز الاعتداد بها.

كما أن نسبة القول بالحل إلى نافع وابن عمر ومالك والشافعى وسعيد بن المسيب ومحمد بن كعب القرظى لم تصح نسبة هذا القول إليهم بل ورد عنهم ما يخالف ذلك من نهيهم عن إتيان النساء فى أدبارهن أشد النهى لأن فى هذا الفعل الكثير من المفاسد منها انقطاع النسل الذى هو المقصد الأسمى من مشروعية الزواج فضلا عن خساسة هذا العمل ودناءته مما يفضى إلى التلذذ بما كان يتلذذ به قوم لوط وما يعد شذوذا فى الشهوة يتنزه عنه المؤمنون الأطهار وأبناء الملة الأخيار. والله أعلم.

أحكام المباشرة فى الفم
فى الفقه الإسلامى

إن العالم اليوم أصبح يعيش فى قرية صغيرة وذلك بسبب وسائل الاتصال والبث الحديثة ومن ثم فغدت الثقافات المختلفة فى كل بلدان العالم تتبادل عن طريق الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وذلك من خلال البث المباشر.

وفى مجال العلاقات الجنسية أصبح الغرب يبث هذه الممارسات الجنسية عبر الفضائيات والأقمار الصناعية وهذه الممارسات يكتنفها الكثير من الشذوذ

فى طرق الجماع وأساليبه المختلفة ومن هذه الممارسات المباشرة فى الفم، وأصبح الكثير من المسلمين يتأثرون بهذه الممارسة ويقلدونها تأثرا بما يبثه الغرب ومن ثم بدأ يكثر السؤال عن حكم هذه الممارسة من الرجال والنساء على السواء لاسيما وأن فقهاءنا القدامى لم يتناولوا مثل هذه الممارسة بالبحث والدراسة ربما لعدم تصور حدوثها أو لخروجها عن السلوك المعتدل والطبع الإنسانى القويم.

لذا أصبح بحث هذه المسألة ضروريا لبيان الحكم الفقهى لها لأن العلم لا حياء فيه إذ تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين".

وعلى هذا الأساس سوف نناقش هذه المسألة على القواعد العامة فى الفقه الإسلامى وآراء بعض المحدثين فى الفرعين التاليين على النحو التالى :

أولا: أحكام المباشرة فى الفم بما دون الوطء

ثانيا: أحكام المباشرة فى الفم بالوطء

أحكام المباشرة فى الفم

بما دون الوطء

اختلف الفقهاء فى حكم هذه الممارسة على رأيين:

الأول : يرى جواز المباشرة فى الفم بما دون الوطء كاللمس والتقبيل ونحو ذلك وهذا ما ذهب إليه المالكية وبعض المعاصرين.

الثانى: يرى حرمة المباشرة فى الفم بما دون الوطء وعدم مشروعيتها.

الأدلـة :

(أ) أدلة الرأى الأول : استدل القائلون بجواز مباشرة الرجل زوجته فى الفم بما دون الوطء بالمعقول من وجهين:

الوجه الأول : إن الأصل فى الأشياء الإباحة ولم يرد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة دليل يفيد حرمة هذه الممارسة ولا ينبغى أن يقال فى شىء بالحرمة إلا أن يوجد فى القرآن أو السنة الصحيحة النص الصريح الدال على الحرمة وإلا فالأصل الإباحة ولا نجد هنا النص الصحيح الدال على حرمة هذا السلوك فمن ثم يقال بالإباحة.

الوجه الثانى : القياس على الإيلاج بين الإليتين من غير إدخال فى الدبر فكما يجوز للرجل أن يستمتع بإليتى المرأة وحلقة دبرها. فكذلك يجوز له أن يباشرها فى فمها بما دون الوطء كأن تقبله أو تمسكه بيدها لينتشر عليها ونحو ذلك، ولقد سئل الإمام أبو حنيفة عن حكم إمساك المرأة فرج زوجها لينتشر عليها فقال : "أرجو أن يكون أعظم للأجر".

ومن ثم فإذا ما باشر الرجل زوجته فى فمها بما دون الوطء لهذا القصد ونحوه فإنه يكون بهذه المثابة.

(ب) استدلال الرأى الثانى :

استدل القائلون بحرمة مباشرة الرجل زوجته فى فمها بما دون الوطء بالمعقول أيضا فقالوا: إن فى هذه الممارسة شذوذا وخروجا على الطبع الإنسانى فى هذه الحياة فالدين الإسلامى دين العفة والطهارة والنزاهة وقد جاء لتهذيب الطباع البشرية والسلوك الإنسانى وحمايته من الإنحراف وليس فيه هذا التهتك والتبذل الذى يأنف المسلم من ذكره ومن ثم فهذه المباشرة غير مشروعة لخروجها عن الطبع الإنسانى المعتدل.

الرأى الراجح : يبدو بعد عرض الرأيين السابقين وأدلتهما فى هذه المسألة أن الرأى الراجح هو الرأى الأول القائل بجواز مباشرة المرأة فى فمها دون الوطء كالتقبيل واللمس والإمساك ونحو ذلك لاسيما وأن الأصل فى الأشياء الإباحة حتى يقوم دليل التحريم ولم يوجد فيبقى الأمر على أصل الحل، كما أنه ليس فى هذا الشىء إضرار بالرجل أو المرأة ونحو ذلك وربما يكون فيه إرضاء لغريزة كل منهما وإثارتها حتى يقضى كل منهما وطره من الآخر كاملا . والله أعلم.

حكم المباشرة فى الفم بالوطء

اختلف الفقهاء فى حكم هذه المباشرة على رأيين :

الرأى الأول: يرى حرمة المباشرة فى الفم[1] وبه قال جمهور الإباضية وبعض المحدثين .

الرأى الثانى : يرى القائلون به جواز المباشرة فى الفم بالوطء وبه قال بعض المحدثين وبعض الإباضية.

قال الشيخ أطفيش فى شرحه على النيل - عند الكلام على مباشرة الحائض : وأبيح منها غير ذلك - أى الوطء فى الحيض- .. وغيره وهو الوطء فى البدن وهو مباح ولو فى الفم.

الأدلة:

(أ) أدلة الرأى الأول : استدل القائلون بحرمة المباشرة فى الفم بالوطء بما يلى :

---

(١) إدخال الذكر فى الفم .

أولا من الكتاب :

١- قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٢٢].

قال الرازى : "وظاهر الأمر للوجوب ولا يقال إنه يفيد وجوب إتيانهن لأن ذلك غير واجب فوجب حمله على أن المراد منه أن من أتى المرأة وجب أن يأتيها فى ذلك الموضع الذى أمر الله تعالى به ... فيتعين أن يكون محمولا على القبل وهو المطلوب.

٢- قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة].

وجه الدلالة : إن قوله تعالى حرث لكم يدل على أن الإتيان فى غير المأتى حرام، وقوله "حرث" تشبيه لأنهن مزدرع الذرية فلفظ الحرث يعطى أن الإباحة لم تقع إلا فى الفرج خاصة إذ هو المزدرع.

وإذا كانت الإباحة لا تصح إلا فى الفرج فيكون ما عداه غير مباح قال ابن عباس : "فأتوا حرثكم" يعنى الفرج.

وقال الجصاص: "فأتوا حرثكم أنى شئتم" يدل على أن إباحة الوطء مقصورة على الجماع فى الفرج لأنه موضع الحرث".

ثانيا: من السنة بما يلى :

١- قوله : «لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام».

وجه الدلالة : أفاد هذا الحديث حرمة الإضرار بالغير إذ النهى للتحريم، وفى إتيان الرجل زوجته فى فمها أضرار كثيرة حيث إن دخول الفرج فى الفم وخروجه تتضرر به المرأة لأنه أمر غير طبيعى وغير معهود وربما يسبق الرجل ماؤه فينزل فى فم زوجته فيؤدى إلى أضرار صحية كثيرة بها حيث يؤدى ذلك

إلى التهابات فى جلد الفم وتؤدى إلى سرطان الجلد على المدى الطويل وإذا ثبت ضرر هذه الممارسة يتأتى القول بالحرمة لحرمة الإيذاء والإضرار بالغير.

٢- قوله ﷺ : "من تشبه بقوم فهو منهم".

وجه الدلالة : إن هذه الممارسات وافدة إلينا عن طريق الغرب من خلال الأقمار الصناعية والفضائيات وفى إتيان المسلم لهذا السلوك تشبه بالغرب ومحاكاة لهم فى شذوذهم وسلوكهم غير المعتدل والمسلم مأمور بمخالفة الكفار لا سيما إذا كانت المخالفة فى أمر غير مشروع.

ثالثا: من المعقول من وجوه :

الوجه الأول : ما ذكره الكاسائى بقوله : " ولأن حل الاستمتاع فى الدنيا لا يثبت لحق قضاء الشهوات خاصة لأن لقضاء الشهوات خاصة دارا أخرى وإنما يثبت لحق قضاء الحاجات وهى حاجة بقاء النسل إلى انقضاء الدنيا إلا إنه ركبت الشهوات فى البشر للبعث على قضاء الحاجات".

الوجه الثانى : إن فى هذه الممارسة شذوذا وخروجا على مقتضيات الطبع الإنسانى وما دعا إليه الإسلام من العفة والطهارة والنزاهة وليس فيه هذا التهتك والتبذل.

الوجه الثالث : فى الممارسة عن طريق الفم تفويت لحق المرأة فى الاستمتاع الكامل على النحو المقصود بعقد الزواج وهذا لا يجوز.

(ب) أدلة الرأى الثانى : استدل القائلون بجواز مباشرة الرجل زوجته فى الفم بما يلى :

أولا من الكتاب :

١- قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ

أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

وجه الدلالة : إن الآية الكريمة أفادت إباحة الاستمتاع بالزوجة مطلقا من غير تحديد موضع معين للاستمتاع به ومن ثم فتجوز المباشرة فى الفم لورود الإباحة مطلقة غير مقيدة ولا مخصوصة.

مناقشة هذا الاستدلال:

يناقش هذا الاستدلال بأن عموم الآية السابقة قد خصصه قوله تعالى : ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢]. بالفرج كما قال ابن عباس. ومن ثم فلا حجة فى الاستدلال بهذه الآية.

٢- قوله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة].

وجه الاستدلال بهذه الآية من وجهين:

الأول : إن الله تعالى جعل الحرث اسما للمرأة فقال : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ فهذا يدل على أن الحرث اسم للمرأة لا للموضع المعين فلما قال تعالى بعده: ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ كان المراد فأتوا نساءكم أنى شئتم فيكون هذا إطلاقا فى إتيانهن على جميع الوجوه فيدخل فيه محل النزاع ، وهو المباشرة فى الفم .

الوجه الثانى : إن كلمة "أنى" معناها أين قال تعالى ﴿ أنى لك هذا ﴾ [آل عمران : ٣٧]. والتقدير من أين لك هذا فصار تقدير الآية : فأتوا حرثكم أين شئتم وكلمة أين شئتم تدل على تعدد الأمكنة كقولك اجلس أين شئت ويكون هذا تخيرا بين الأمكنة.

مناقشة هذا الاستدلال من وجهين :

الأول : لا نسلم أن الحرث اسم للمرأة بل الحرث اسم لموضع الحراثة وهو الفرج فثبت أن الآية لا دلالة فيها إلا على إتيان النساء فى المأتى.

الوجه الثانى : لا نسلم أن "أنى" بمعنى أين قال القرطبى : "أنى شئتم" معناه عند الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى: من أى وجه شئتم مقبلة ومدبرة .

ثانيا : من السنة بما يلى :

١- قوله ﷺ : « أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر».

وجه الدلالة : إن النبى ﷺ أجاب عمن سأله عما يحل له من امرأته بأن عليه أن يجتنب الحيضة والدبر فيبقى ما عداده على أصل الحل عملا بالمفهوم المخالف لهذا الحديث.

يناقش هذا الاستدلال من وجهين :

الأول : أن هذا الاستدلال استدلال بالمفهوم المخالف وهو ليس حجة فيكون غير مقبول.

الوجه الثانى : سلمنا أن المفهوم المخالف حجة لكن يشترط للعمل به ألا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق ونحوه . وهنا قد عارضه قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ فيكون غير مقبول.

٢- ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله ﷺ عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض ؟ فقال : «له ما فوق الإزار».

وجه الدلالة : أن النبى ﷺ أباح لمن يريد مباشرة زوجته وهى حائض أن يباشرها بما فوق الإزار ومنه الفم فيدخل فيما أحله الله عز وجل.

مناقشة هذا الاستدلال :

هذا استدلال بالمفهوم المخالف وعلى فرض حجيته فهو ليس صالحا للاستدلال به هنا لمعارضته قول الله عز وجل ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ فلا يعتد به ههنا .

ثالثا: من المعقول: إن الأصل فى الأشياء الإباحة حتى يقوم دليل الحرمة ولم يوجد دليل على حرمة إتيان المرأة فى الفم فدل ذلك على الإباحة قال د/ القرضاوى :" ولا نجد هنا النص الصحيح الدال على حرمة هذا السلوك مع الأزواج".

مناقشة هذا الاستدلال:

لا نسلم لكم عدم وجود دليل على حرمة مباشرة المرأة فى فمها حيث إن قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ نص في محل النزاع والمراد به: الفرج كما قال ابن عباس فيدل على حرمة ما عداه كما أن قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ تحديد للموضع الذى يجب الإتيان فيه وهو موضع الحرث ولا يكون الحرث إلا فى الفرج فيحرم ما عداه.

الرأى الراجح :

من خلال ما تقدم من عرض لأراء الفقهاء وأدلتهم فى هذه المسألة يبدو – والله أعلم– رجحان الرأى الأول القائل بحرمة المباشرة فى الفم بالوطء وذلك لما يلى :

١– قوة أدلة هذا الرأى وسلامتها وخلوها عن المعارض القوى.

٢– كما أن الحق سبحانه وتعالى رسم للمسلم طريقا لقضاء الوطر الجنسى فلا يجوز تعديه.

٣- فى هذه الممارسة شذوذ وخروج عن المألوف من طبع البشر ومن ثم يجب على من يفتى الناس أن يفتيهم بما يتفق مع الطبع الإنسانى المعتدل والسلوك الإنسانى القويم.

٤- قد يسبق الرجل ماؤه فيقذف منيَّه فى فم المرأة وهذا المنى يسبب كثيرا من الأمراض الصحية التى تقدم ذكرها وفى هذا ضرر لا يقره الشرع.

٥- إن الإنسان مخلوق كرمه الله بالعقل فلابد أن يرتقى بنفسه عن مثل هذه الرذائل لا سيما وأن الحيوانات التى هى أحط من الإنسان لم تخرج عن فطرتها فى هذه الممارسة فكيف بالإنسان الذى كرمه الله وحمله أمانة التكليف.

٦- كما أن فى هذه الممارسة تقليدا للغرب فى سلوكياته المنحرفة وأخلاقه الشاذة وبعدا عن منهج الإسلام.

٧- وما استند إليه القائلون بالإباحة من أدلة عامة قد دخلها التخصيص ومن ثم فلا تنهض حجة فى الاحتجاج بها.

٨- لكل ما تقدم تميل النفس ويطمئن القلب إلى القول بحرمة هذه الممارسة وشذوذها وعدم مشروعيتها. والله أعلم.

الآثار المترتبة على الجماع فى نهار رمضان فى الفقه الإسلامى

أولا: القضاء وآراء العلما فيه

ثانيا: الكفارة

أولا: القضاء وآراء العلماء فيه

اختلف الفقهاء فى حكم قضاء اليوم المجامع فيه نهار رمضان على ثلاثة آراء:

الرأى الأول : ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافيعة فى الصحيح عندهم والحنابلة والظاهرية والزيدية والإمامية والإباضية إلي القول بوجوب القضاء على من تعمد جماع زوجته فى نهار رمضان.

الرأى الثانى : ذهب الأوزاعى ووجه للشافعية ورواية للإمام أحمد إلى القول بأن المجامع فى نهار رمضان إن كَفَّر بالصوم فلا قضاء عليه واختاره الأجرى وأبو محمد الجوزى والشيخ تقى الدين وصاحب الفائق.

الرأى الثالث : لا يجب القضاء مطلقا وهو وجه عند الشافعية.

الأدلة : (أ) أدلة الرأى الأول : استدل القائلون بوجوب القضاء على من جامع فى نهار رمضان بما يلى:

أولا من السنة : بما رواه أبو داود بإسناده وأبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال للمجامع : «استغفر الله وصم يوما مكانه».

وجه الدلالة : أن الرسول ﷺ أمر المجامع فى نهار رمضان بالاستغفار وبصيام يوم آخر مكانه فيدل ذلك على وجوب القضاء وإلا لم يكن لأمره ﷺ معنى.

ثانيا : من المعقول من وجوه :

الأول : القياس على إفساد الصوم بالأكل والشرب قال ابن قدامة : "ولأنه أفسد يوما من رمضان فلزمه قضاؤه كما لو أفسده بالأكل".

الوجه الثانى : إن الصوم وجب عليه بشهود الشهر وقد انعدم فلزمه القضاء كما لو كان معذورا بمرض أو سفر ونحو ذلك.

الوجه الثالث : ما ذكره صاحب الهداية تعليلا للقول بوجوب القضاء بقوله: " استدراكا للمصلحة الفائتة "وعلق عليه صاحب البناية بقوله : "يعنى لأجل لاستدراك المصلحة التى فاتت بإفساده الصوم لأن الشارع الحكيم لا يأمره بالإمساك إلا لحكمة فإذا فوت هذه الحكمة والمصلحة بالإفساد يجب القضاء ليدركها قلت هذه الحكمة لمصلحة قهر النفس الأمارة بالسوء فبالجماع يفوت قهر النفس للتنافى بينهما فيجب القضاء للاستدراك".

(ب) استدلال الرأى الثانى :

استدل أصحاب الرأى الثانى القائلون بعدم وجوب القضاء إذا كفر المجامع بالصيام بالمعقول ووجهته: أن الصومين يتداخلان ومن ثم فإذا كفر بصيام شهرين متتابعين فيكون القضاء داخلا فيهما

مناقشة هذا الاستدلال:

قال الكسائى: "وهذا غير سديد لأن صوم الشهرين يجب تكفيرا وزجرا عن جناية الإفساد أو رفعا لذنب الإفساد وصوم القضاء يجب جبرا للفائت فكل واحد منهما شرع لغير ما شرع له الآخر فلا يسقط صوم القضاء بصوم شهرين كما لا يسقط بالإعتاق".

(ج) استدلال الرأى الثالث :

استدل القائلون بسقوط القضاء مطلقا بما يلى :

أولا : من السنة بما يلى :

١- قوله ﷺ : «من أفطر فى رمضان فعليه مثل ما على المظاهر».

وجه الدلالة : إن النبى ﷺ أخبر أن من أفطر فى رمضان بغير عذر فكفارته كفارة الظهار والمظاهر ليس عليه قضاء إنما عليه الكفارة

مناقشة هذا الاستدلال:

لا نسلم لكم أن المجامع فى نهار رمضان ليس عليه قضاء وإنما المراد بقوله ﷺ : «فعليه ما على المظاهر» بسبب الفطر وبه نقول لكن وجوب القضاء عند تفويت الأداء غير مشكل.

٢- بما روى عن أبى هريرة رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان قال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال: لا قال فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا؟ قال : لا ثم جلس فأتى النبى ﷺ بعرق فيه تمر فقال : تصدق بهذا فقال : على أفقر منا فما بين لا يتيها هل بيت أحوج إليه منا فضحك النبى ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك».

وجه الدلالة : أن النبى ﷺ لم يأمر الأعرابى بالقضاء ولأنه بين حكم الكفارة ولم يبين حكم القضاء وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

مناقشة هذا الاستدلال :

لا نسلم لكم الاستدلال بالحديث السابق فى عدم وجوب الكفارة بأن النبى ﷺ لم يذكر للأعرابى وجوب القضاء وإنما بين حكم الكفارة فقط وهذا الكلام غير مسلم فقد ورد فى بعض روايات الحديث أن النبى ﷺ قال للأعرابى : استغفر الله وصم يوما مكانه» وهذا يدل على وجوب قضاء اليوم المجامع فيه.

ثانيا: من المعقول :

إن الخلل الحاصل بالجماع قد انجبر بالكفارة ومن ثم فلا يجب القضاء.

مناقشة هذا الاستدلال :

هذا الكلام غير مسلم وغير سديد كما قال الكسائى: "لأن صوم الشهرين يجب زجرا عن جناية الإفساد أو رفعا لذنب الإفساد وصوم القضاء يجب جبرا للفائت ومن ثم فلا يغنى أحدهما عن الآخر.

الرأى الراجح:

من خلال ما تقدم من عرض لأراء الفقهاء وأدلتهم فى هذه المسألة يبدو رجحان ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من القول بوجوب القضاء على من جامع عمدا فى نهار رمضان وذلك لقوة أدلتهم وسلامتها وخلوها عن المعارض القوى.

وما ذهب إليه المخالفون من أدلة أمكن مناقشتها مناقشة تؤدى إلى بطلانها وعدم صلاحيتها للحتجاج بها الأمر الذى يؤدى إلى القول بالإطمئنان فى ترجيح الرأى الأول والعمل بموجبه . والله أعلم.

جريمة الإغتصاب

وآثارها المدمرة

من بين الكائنات والمخلوقات سواء كانت حيواناً أو طيراً أو حشرة إنفرد بالقدرة على الاغتصاب مخلوقان هما الرجل وفصيلة العناكب، وهذا معناه أن الإغتصاب صناعة رجالى وهواية لا يقدر عليها إلا الذكور، ومزج بعض الكُتاب بين حادث القنبلة الذرية وحادث الاغتصاب، ولم يكن يبالغ وقتها ، ولم يكن واقعاً تحت تأثير الخيال الفنى، فالإغتصاب زلزال تأثيره على نفسية الفتاة كتأثير القنبلة الذرية، فهو يدمر الثقة ويحطم الأمان ويزعزع كل القيم والمثل فى نظرها .

والمُغتصبة تُنتهك روحياً قبل أن تنتهك جسدياً، ويزحف التصحر العاطفى على خضرة مشاعرها وتفتح عواطفها ورغبتها فى الحياة، وعندما ينشب ذئب النذالة والرعب أظافره فى جسدها، فهو فى الوقت نفسه يجرح أنوثتها وإنسانيتها وابتسامتها، فينقلب حنانها قسوة ، وتنقلب رقتها شراسة، ويتحول الحنان إلى فزع، والإقبال على الحياة إلى رعب من مجرد الانتساب إليها.

فى قصة الحرام ليوسف إدريس جعل الاغتصاب هو الثمن الذى دفعته عاملة التراحيل لجذر البطاطا، فأضافت إلى فقر الجيب فقر الروح وجدب الأمل، كانت تتحمل الزمن الضنين والفقر الكاسر وقلة الموارد وندرة الحلم ، لكنها لم تحتمل هذه اللحظة الرهيبة لحظة إغتصابها فى حقل البطاطا، فبداية الاغتصاب استباحة وهى برغم فقرها لم تكن مستباحة، ونهاية الإغتصاب موت يلف الفتاة بكفنه لحظة أن يغادر المعتدى ساحة معركته القذرة، فتعيش الفتاة تتحرك على قدمين من عار، والاغتصاب هو أكثر الجرائم إثارة للتقزز والاشمئزاز، هو

---

(١) الختان والعنف ضد المرأة ـ سناء البيسى ـ م. الأسرة ، بتصرف يسير .

جريمة عنف وتمرد واحتجاج مرضى قبل أن يكون لمجرد الحصول على اللذة، إنه رغبة فى هتك نسيج المجتمع وفض بنيانه قبل أن يكون هتكاً لعرض أو فضاً لغشاء، وإنتشاره فى أى مجتمع هو دلالة على خلل مرعب، وعلامة على إنهيار سريع وتفك مريب، والأهم أنه مؤشر خطير على مدى العنف المكبوت الذى لا يجد له إلا منفذا فى جسد المرأة، ومتنفسا فى كيانها وروحها، ولم لا وهى التى يمارس معها العنف أشكالاً وألواناً من المهد إلي اللحد؟، وإستسهال تنفيذ جريمة الإغتصاب بالرغم من قسوة وتغليظ العقوبة، وبالرغم من كم الإدانة الإجتماعية الضخمة التى توجه للمغتصب، ليس له إلا تفسير واحد، وهو أنه يوجد اغتصاب فى نواحى أخرى كثيرة من المجتمع تحتاج إلى تدخل.

تعريف الإغتصاب والتحرش الجنسى كمصطلح إتسع بعفل الفهم الرحب والمتسع لحقوق المرأة وحريتها، فهو حالة التحرش والتلاصق بأعضاء الجنس سواء اقترن ذلك بجنس كامل أم لا، وسواء اقترن باستخدام القوة أو التهديد بها أم لا، وذلك دون موافقة الأنثى ورضاها، وكذلك إذا كانت الضحية قاصراً تحت السادسة عشرة أو كانت معاقة عقلياً أو حركياً، ولإثبات أن معظم حالات الاغتصاب هى صور عنف وردود فعل إجرامية لأشخاص سيكوياتيين أو مرضى نفسيين، وليست من أجل اللذة الجنسية فقط والتى من الممكن أن يحصل عليها فى أى بيت دعارة، أثبتت إحدى الدراسات العلمية الإحصائية أن نصف حالات الاغتصاب تقريبا ينهى فيها المغتصب العملية الجنسية فى الدقائق العشر الأولى، ويتبعها بعد ذلك بالإيذاء النفسى والبدنى للضحية والذى قد يتطور إلى قتلها أى أن العنف قبل النشوة والتدمير قبل النزوة.

والتدمير النفسى ليس وليد اللحظة وبالعكس لا يمكن نسيانه طوال العمر، لدرجة أن الأطباء قد نحتوا مصطلحاً طبياً جديداً لوصف ما يحدث بعد الاغتصاب، وهو متلازمة حادث الاغتصاب والذى يمر بمرحلتين :

١- المرحلة الحادة : وتستمر من عدة ساعات لعدة أيام بعد الحادث، وفى هذه المرحلة يعترى الضحية إضطراب شديد فى السلوك والتصرفات وتهيج وانفعال وإحساس شديد بالغضب والذنب والشعور بالتحقير والذل والمهانة، وقد تستطيع الضحية فى أحوال قليلة أن تكتم أحاسيسها وإنفعالاتها وتختزن معاناتها النفسية فى اللاشعور كخبرة مؤلمة، تتسبب فيما بعد فى كثير من الأمراض النفسية، ولا يتوقف الأمر عند الاضطرابات النفسية فهناك الكثير من الاضطرابات الجسمانية مثل الصداع والإرهاق والأرق واضطرابات الجهاز الهضمى مثل القيء والإسهال والمغص، واضطرابات الجهاز البولى مثل كثرة التبول أو التبول اللاإرادى كما أنها قد تشعر بأعراض بعض الأمراض الجنسية التى ربما قد تكون قد انتقلت من الجانى إليها.

٢- المرحلة المزمنة : وتبدأ هذه المرحلة بعد الإغتصاب بحوالى أسبوعين أو ثلاثة، وفيها تبدأ المغتصبة فى العودة التدريجية إلى طبيعتها، وإن كان ينتابها الكوابيس والمخاوف ذات الطابع الجنسى، ومع المساعدة النفسية والطبية والتأهيلية قد تشفى الضحية، ولكن الغالب الأعم لا تتعافى من هذه الخبرة المؤلمة وتظل تعانى طوال عمرها من إضطرابات نفسية مزمنة وفقدان للإحساس بالأمان وبرود جنسى، وإذا كان المغتصب مصابا بأمراض جنسية، فإنه ينقلها للضحية، وأهم هذه الأمراض الإيدز والسيلان والزهرى والكلاميديا والعدوى الميكروبية، مما يتسبب فى التهابات الجهاز التناسلى وانسداد قنوات فالوب وما يستتبعه من عقم، ورغم أن احتمالات الحمل بعد الاغتصاب نادرة فهى تتراوح مابين ٢-٤٪ فإن الضحية غالباً ما تواجه موقفا غاية فى الصعوبة قد يعرضها لمخاطر الإجهاض العشوائى بما يصاحبه من تلوث ونزيف وأحيانا موت

تشير تقديرات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية إلى أن جرائم الاغتصاب تبلغ أكثر من عشرة آلاف جريمة سنوياً نقلا عن مركز النديم للعلاج

والتأهيل النفسى لضحايا العنف، وهو رقم مرعب وخطير وحتى لو كان الرقم الحقيقى النصف، فهو مازال مرعباً وخطيراً، وللأسف لا يتم الإبلاغ إلا عن ٢٪ فقط، وفى الصعيد لا يتم الإبلاغ عن حالة واحدة ، ويرجع د. أحمد المجدوب صعوبة معرفة الحجم الحقيقى لظاهرة الاغتصاب إلى تفضيل الفتاة، وأهلها تكتم الأمر لأن الجيران والأهل وحتى المعنيين بالمسئولية يلقون باللوم على الفتاة فى كثير من الأحيان لمظهرها المغرى، أو سلوكها المتساهل ... إنه الأمر الذى يؤدى إلى تعذر زواج الضحية بعد ذلك إذا كانت لم تتزوج، أو إلى طلاقها إذا علم زوجها بما حدث، فتفضل السرية كذلك قد تكون الفتاة على علاقة عاطفية برجل يغتصبها ويعدها بالزواج حتى تمر لحظات القلق،

وإذا انتهى الأمر بأمان ولم تُبلِّغ الفتاة، هرب الجانى من قيد العلاقة أو أبقى عليها فى شكلها السرى الجديد، وتظل الفتاة متعلقة بسراب الوهم، وقد يكون الجانى من أقارب المجنى عليها، وأحياناً من المحارم فتفضل هى والأسرة عدم الإبلاغ حفاظاً على كيان الأسرة، وأكثر جرائم الإغتصاب المبلغ عنها هى الجرائم التى تكون فيها الفتاة دون السن التى يعتد فيها برضاها، وإذا تصادف وأبلغت إحدى الأسر بما حدث لإبنتها يظهر عندئذ العدد الكبير من جرائم الاغتصاب التى ارتكبها المتهم من قبل دون أن تقوم ضحاياه بالإبلاغ عنه.

المؤسف أن الوعى الجمعى يحصر كارثة الاغتصاب فى إطار الجنس وليس فى إطار العنف، ولا يريد أن يدرك أن الجنس ما هو إلا وسيلة فقط لتفريغ هذا العنف، والأكثر احباطاً أن المجتمع يمارس الصهينة والطناش والتعامى عن ممارسات عنيفة ومضايقات جنسية لا تتخذ صورة الاغتصاب الجنسى الصريح الكامل،

وقد اتسع مجال الاهتمام بهذه القضية بعد التقارير التى رفعت للأمم المتحدة ونوقشت فى مؤتمر بكين ١٩٩٥ حيث طالبت جمعيات حقوق الإنسان

والجمعيات الحكومية والنسائية بضرورة الكشف عن صور العنف التى تواجه المرأة عموماً، ومن بينها مضايقات العمل وهى مضايقات كما عرفتها د. ثريا صالح أستاذ علم النفس بجامعة أم درمان بأنها محاولة الشخص بطريقة مؤذية غير ملائمة، وقد تأخذ عدة أشكال منها ما هو موجه لفرد أو مجموعة من الأفراد، ومنها ما هو موجه بصورة علنية مثل الرغبة أو عدم الرغبة فى فرد بعينه لمجرد الجنس، أو بصورة غير علنية ، والمضايقات الجنسية هى أشد أنواع تلك المضايقات مرارة وعنفاً وتشير دراسة الباحثة ملك زغلول ١٩٩٢ إلى أنه برغم صعوبة البحث فإن هناك عدداً من النساء قد اشتكين من هذه المضايقات، وبلغت نسبتهن ٥ر١٨٪ فى الحضر، و٣ر٧٪ فى الريف .

أما عن مصادر المضايقات فهناك مضايقات من الزملاء الذكور بلغت ٤١٪ ، ومضايقات من الجمهور ٨ر٣٢٪ ، ومضايقات بسبب التمييز ضد المرأة ٥ر٤٪، وقد أشارت إحدى الدراسات الميدانية الأخرى التى ذكرتها د. ناهد رمزى فى تقريرها الصادر عن رابطة المرأة العربية إلى أن ٦٦٪ من الفتيات يتعرضن للعنف فى أماكن عملهن ويأخذ العنف عادة طابعاً جنسياً ويتراوح ما بين :

* المعاكسة بالكلام أو الألفاظ ذات المعانى الجنسية ٣٠٪.
* التحرش باللمس ١٧٪.
* الغزل غير المقبول ٢٠٪.

ويترتب على هذه المضايقات شعور الفتاة بالارتباك والخوف والإحباط فى ٢٣٪ من الحالات، أو الشعور بالإهانة والسلعية والرغبة فى الانتقام ٤٢٪ من الحالات، وقد أشارت ٦٧٪ من الحالات إلى أنهن لا يستطعن ترك العمل بالرغم من تلك المعاناة لأسباب اقتصادية.

وإذا كان التحرش الجنسى بالمرأة جريمة بشعة، فالأكثر بشاعة أن يكون التحرش والإغتصاب لطفلة صغيرة، فهو هتك للبراءة، والجانى فيها لا يستطيع حتى أن يبرر فعلته بالهياج الجنسى، فالضحية عصفورة مازالت تتعلم فن الطيران والحياة، ومازالت واثقة بأن كل الألوان بيضاء، ومازالت تؤمن بأن كل البشر صادقون، فيأتى الذئب البشرى فيقص زغبها ليبدله أشواكاً، ويعرفها أن اللون الأسود هو السائد، وأن كل البشر خفافيش تعشق الظلام، وإذا كان الأطفال يمثلون ٤٥٪ من الشعب العربى، وهى أعلى نسبة فى العالم فلابد أن نمنح هذه المشكلة إهتماماً أكبر.

وفى البداية ما تعريف الاستغلال الجنسى لجسد الطفل؟، أنه اتصال جنسى بين طفل وبالغ من أجل إرضاء رغبات جنسية عند الأخير، مستخدما القوة والسيطرة عليه، هذا هو التعريف العلمى لهذا الاستغلال الذى يعرف أيضا بأنه دخول بالغين وأطفال غير ناضجين وغير واعين لطبيعة العلاقة الخاصة جداً وماهيتها ، كما أنهم لا يستطيعون إعطاء موافقتهم على تلك العلاقة، والهدف هو إشباع المتطلبات والرغبة لدى المعتدى وإذا ما حدث الزلزال الأكبر داخل إطار العائلة من خلال أشخاص محرمين على الطفل ، مما يعتبر خرقا للعرف الاجتماعى وزعزعة لكل ما استقر عليه هذا المجتمع حول وظيفة وبنيان العائلة، وهو ما يسمى سِفَاح القربى أو زنا المحارم أو قتل الروح كما تسميه الباحثة ناهد باشطح التى كتبت دراسات مهمة حول هذه القضية، ويعرف سفاح القربى فى القانون بأنه ملامسة جنسية مع قاصر أو قاصرة على يد أحد أفراد العائلة.

وقد كتب الباحثان مكلويتس ولفشيتس ١٩٩٥ حول المقصود من الاستغلال الجنسى للطفل بأنه :

* كشف الأعضاء التناسلية.

* إزالة الملابس عن الطفل بطريقة إغرائية.

* ملامسة أو ملاطفة جسدية خاصة.

* التلصص على طفل.

* تعريضه لصور أو أفلام فاضحة

* أعمال مشينة وغير أخلاقية مثل إجباره على التلفظ بألفاظ فاضحة.

الاغتصاب :

وعن كيفية الإنتهاك الجسدى للطفل تقول الباحثة ناهد باشطح إن المعتدى هو شخص يكبر الضحية بخمس سنوات على الأقل، وله علاقة ثقة وقرب للضحية فى معظم الأحوال، وقد دلت الدراسات على أن أكثر من ٧٥٪ من المعتدين هم ممن لهم علاقة قرب بهؤلاء الأطفال، ويتم الإعتداء عن طريق التودد أو الترغيب، وهو استخدام الرشوة والملاحظة وتقديم الهدايا أو عن طريق الترهيب والتهديد وهو التخويف من إفشاء السر أو الكشف عن الاعتداء، وذلك عن طريق الضرب والتهديد بالتوقف عن حب الطفل ... إلخ.

لماذا تستغل البراءة؟ سؤال طرحته الباحثة لميس ناصر للبحث عن مبررات حدوث هذا العنف الجسدى تجاه الطفلة وصنفت هذه العوامل صنفين :

– العوامل الديموغرافية : وهى العوامل الإجتماعية والسياسية والنفسية والاقتصادية والعوامل القانونية وأهمها عدم كفاية القوانين التى تحكم الاعتداءات الجنسية على المرأة والطفل، وقصور التعامل الأمنى مع مثل هذا النوع من المشكلات، وعدم وضوح بعض المفاهيم قانونياً مثل الإساءة الجنسية، ووسائل الإعلام التى تكرس مظاهر العنف فى البرامج التليفزيونية وألعاب الكمبيوتر.

– عوامل الخطورة : وتنقسم إلى عوامل خطورة ترتبط بالمعتدى وهو فى

الغالب شخص قد أسيء إليه جسديا أو عاطفيا أو جنسيا، وعوامل خطورة ترتبط بالمعتدى عليه مثل بعض صفات الأطفال الجسدية والعاطفية التى تقلل من حصانتهم للإساءة، ثم تأتى عوامل الخطورة المرتبطة بالعائلة فبعض العائلات لها صفات محددة تزيد من احتمالية الإساءة فيها مثل النزاعات الزوجية والضغوط الاقتصادية، وأخيرا عوامل الخطورة المرتبطة بالمجتمع المحيط الذى يتساهل فى العقاب والعنف الجسدى ويعتبره أعلى أنواع التقويم مما يجعل العنف مبرراً.

الدراسة الوحيدة التى استطعنا الوصول إليها، ووجدناها تتناول موضوع التحرش الجنسى بالطفل فى مصر هى الدكتورة فاتن عبد الرحمن الطنبارى الباحثة بمعهد الدراسات العليا للطفولة بجامعة عين شمس، وتشير هذه الدراسة إلى أن حوادث الاعتداء الجنسى على الأطفال تمثل ١٨٪ من إجمالى الحوادث المختلفة للطفل، وفيما يتعلق بصلة مرتكب الحادث بالطفل الضحية اتضح أن النسبة هى ٣٥٪ لهم صلة قرابة بالطفل، أما الآثار التى يتركها الاعتداء الجنسى على الطفل فقد لخصتها الباحثة والصحفية ناهد باشطح فى ثلاثة آثار أو دلائل :

الدلائل الجسدية : تختلف باختلاف العمر ومنها : صعوبة فى المشى أو الجلوس، أو أمراض فى الأعضاء التناسلية، إفرازات أو نزيف أو تلوث متكرر فى مجرى البول، أو أوجاع بالرأس والحوض.

الدلائل السلوكية : الإنطواء والانعزال والانشغال الدائم بأحلام اليقظة، وعدم النوم وكثرة الكوابيس، تدنى المستوى التعليمى وعدم المشاركة فى أنشطة المدرسة، تورط الطفل فى سلوك إنحرافى، وعدم الثقة بالنفس وبالآخرين، والعدوانية، تشويه الأعضاء التناسلية وتعذيب النفس، ومن الممكن أن تقوم الطفلة بتصرفات إغرائية استفزازية.

الدلائل النفسية : ينجذب الطفل إلى الشذوذ الجنسى شيئاً فشيئاً، ويؤكد ذلك بحث العالم الأمريكى جريجورى ديكسون ١٩٩٦، والذى يظهر أن ٤٩٪ من الشواذ جنسياً قد حدث لهم نوع من الإعتداء الجنسى فى طفولتهم.

الاغتصاب هو اغتصاب للروح، والتحرش الجنسى هو تحرش بكل ما هو جميل فى هذا الكون، والمرأة قارورة عطر تتعطر بها الدنيا فى هجير الوحدة وقيظ اليأس، فلنجعلها تفوح ناشرة شذاها غير خائفة وغير مرعوبة من ذئب يتلذذ بجسدها، أو بلطجى ينهش روحها، لا تمنعوا عطرها بتحويله إلى بركة دم.

جرائم الشرف (١)

شرف البنت وعود الكبريت

من صفحات الحوادث فى الجرائد المصرية، والتى لا يكاد يخلو عدد منها من أب يقتل ابنته أو أخ يمزق أخته أو زوج يخنق زوجته لشك فى سلوكها، وهو ما يطلق عليه جرائم الشرف.

ولأن شرف المرأة عندنا له معنى محدد وواضح وهو غشاء البكارة والجنس، فهو ضيق كثقب الإبرة، ولأن شرف الرجل أول سايز يتسع لكل المعانى، ويختزن كل الاحتمالات، لذلك فهو واسع كالمحيط وغامض كالشبح، فالمرأة غير الشريفة هى التى تفرط فى عرضها، أما الرجل غير الشريف فهو الرجل السارق أو النصاب وماعدا ذلك فهو شريف، ولو مارس الجنس مع ثلاثة أرباع نساء الكرة الأرضية، فسيظل شريفاً عفيفاً لا تلوثه هذه العلاقات الطيارى،

وقد أجرى الباحث الاجتماعى بحثاً ميدانياً عن معنى الشرف عند المرأة،

---

(١) الختان والعنف ضد المرأة - سناء البيسى - م. الأسرة - بتصرف يسير .

فاتفق ٩٩٪ من نساء العينة على أن الشرف هو غشاء البكارة السليم، ولم يذكر سوى ٨٪ أن شرف المرأة مبادئ وقيم ومثل عليا، وإذاً معنى الشرف يختلف باختلاف الجنس، ولذلك فطريقة الإنتقام له والمحافظة عليه وأيضاً عقاب من يفرط فيه أو يثأر من أجله، لابد أن تختلف هى الأخرى، وبالتالى لابد أن يتسامح المجتمع ممثلاً فى أعرافه وتقاليده وقوانينه مع هذا المفهوم، ولكى نطبق هذا الكلام بطريقة عملية علينا أن نقرأ صفحة الحوادث فى أية جريدة، وهذه عينة عشوائية نقدمها لكم كبداية لتكوين وجهة نظر حول هذه الجريمة، ولإحصاء نسبة إنتشارها فى المجتمع وطرق تنفيذها، والأهم شعور مرتكبيها الذين يشعرون بالفخر غالباً وبالندم نادراً، وإليكم بعض العناوين :

* عاطل فى بنى سويف يقتل زوجته الشابة بمطواة قرن غزال لكثرة خروجها من المنزل وملاحظة بسيطة : هذا العاطل كان متزوجا من اثنتين ، الأهرام ١٩٩٩/٦/٣٠.

* قتلها شقيقها لسوء سلوكها ودفنها فى برج العرب ٢٠٠١/٥/١٣.

* أب يغتصب ابنته وعندما حملت منه قتلها ليمحو العار، الأحرار ٢٠٠١/٦/٤.

* خفير يهشم رأس زوجته ببلطة ويذبحها أمام أطفالهما الأربعة بالخانكة لشكه فى سلوكها، الأهرام ٢٠٠١/١/١٠.

* إحالة منجد إلى الجنايات قتل ابنته التلميذة بمدرسة المحمدية الإعدادية بالسيدة زينب لسوء سلوكها، الأهرام.

* فى أبو المطامير بالبحيرة ومع إنطلاق مدفع الافطار يقتل شقيقته وزوجها لزواجهما بدون رغبة الأسرة ، الأهرام ١٩٩٨/١٢/٣٠.

* يلقى بابنته من الدور الخامس لعودتها متأخرة ليلاً ، الأهرام ١٩٩٨/١٢/٩.

* فى شبرامنت يقتل شقيقته بإيشارب لسوء سلوكها ويحاول استخراج شهادة بوفاتها، الأهرام ١٩٩٨/٥/٣.

* اعترافات قاتل شقيقته.. شوهت سمعتنا فغسلت العار ضميرى مرتاح ولست نادماً ، الجمهورية ٢٠٠٠/٢/٨.

* يقتل والدته بمعاونة خاله بقنا لسوء سلوكها ، الأهرام ٢٠٠٠/١٠/٢.

* فى المنوفية تقتل ابنتها لحملها سفاحاً ، الوفد ٢٠٠١/٤/١٩.

* يذبح زوجته بسكين المطبخ لوقوفها بملابس مثيرة فى شرفة الشقة بالبلينا بسوهاج ، الأهرام ١٩٩٩/١٠/٥.

* حداد بالمحلة يقتل زوجته لإصرارها على الخروج بدون حجاب ، الوفد ٢٠٠٠/٣/٦.

* يجبر ابنته على تناول السم لشكه فى سلوكها ، الوفد ٢٠٠٠/٨/٦.

* فى أبو النمرس بالجيزة يخنق شقيقته ويدعى انتحارها بالسم لارتباطها بعلاقة عاطفية مع جارها ، الأهرام.

* بالاسكندرية مهندس ديكور يقتل زوجته أمام المارة لشكه فى سلوكها، الأهرام ٢٠٠٠/٩/٤.

* أب وأم يقتلان ابنتهما صعقا بالكهرباء لزواجها عرفياً من شاب بالوراق ،الوفد ٢٠٠٠/٨/١٤.

* مبيض محارة يمزق جسد زوجته بالسكين فى الشارع لشكه فى سلوكها ، الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢.

* فى كفر شكر يذبح زوجته ثم ينتحر حزناً عليها ... الحياة ١٩٩٨/٣/٢٩.

* تلميذ بسوهاج يهشم رأس شقيقته ببلطة لطلاقها بعد ٧ أشهر من زواجها، الأهرام ٢٠٠٠/٦/٧.

* اعترافات مثيرة لقاتل شقيقته بامبامة - أصدقائى عيرونى بسوء سلوكها فذبحتها بلا ندم ولعبت البلياردو بعد الجريمة ، الأحرار ٢٠٠١/٨/٤.

* فى الحدائق : زوجة الطباخ عيرته بضعفه شك فى سلوكها فقطعها طرنشات وفى الفيوم أشعل مواطن وابن عمه النار فى شقيقته ومنعا أهل البلد من إنقاذها وفى القليوبية أعمى يسدد طعنة قاتلة لقلب زوجته إثر مكالمة تليفونية كاذبة، المصور ٢٠٠٠/٧/٧.

هذه بعض المانشيتات التى تحكى قصة الدم الذى يراق على جوانب الشرف حتى يسلم من الأذى كما أوصانا الشاعر العربى القديم، هذا الدم الذى يراق بنفس السهولة التى تراق بها دماء دجاجة، وبنفس الاطمئنان والخشوع الذى يقدم به القربان، وكما سجلت الجرائد هذه الجرائم فى صفحات الحوادث، قامت وزارة الداخلية بتسجيلها فى محاضر أقسام البوليس، وقد بلغ عدد المجنى عليهن فى قضايا القتل العمد بدافع غسل العار، والمبلغ عنها فى مصر على سبيل المثال ٥٢ حالة فى عام ١٩٩٥، وبالطبع لابد من وضع ألف خط تحت عبارة المبلغ لأنه فى أحيان كثيرة لا يتم التبليغ خوفاً من انتشار الفضيحة، أو لأن الجيران والأهل يعتبرون الفاعل بطلاً مغواراً فيباركون فعلته بل يمجدونها، وبالطبع لا يتم التبليغ.

وإذا كانت محاضر البوليس لا تنقل إلا وجهات نظر المتهم والشهود التى ما تكون غالباً آراء ذاتية، فإن تقارير الطب الشرعى لا تنقل إلا وجهة نظر العلم

والتشريح والتحليل التى تكون غالباً موضوعية، والحكايات والقصص التى يرويها الأطباء الشرعيون تثبت أن سيف الظلم عادة هو الذى يسبق حكمة العقل، وفى أحد التصريحات الصحفية يفاجئنا مدير مشرحة زينهم برقم غاية فى الظلم والبشاعة، فهو يقول إن ٨٠٪ من القتيلات بدعوى الشرف بريئات تماما وعذارى، وهو ما يثبت أن هذا الشك الذى يحتل معظم المانشيتات ويمثل الباعث الأساسى لمعظم الجرائم هو شك لا يوجد إلا فى عقل القاتل الذى تحركه غريزته الهيسترية، فيذبح ويخنق ويحرق بدون أن ينصت ولو لثوان قليلة لصوت العقل والضمير، وحكاية أخرى يحكيها طبيب شرعى ممن لمس الظلم الواقع على ضحايا جرائم الشرف وفيها أفضت الأم بالسر الرهيب إلى إبنها إلحق أختك انقطعت عنها الدورة أكيد فيه .. وأمام هذه الإذن لم يكن أمام الشقيق إلا أن يغرس السكين فى صدرها ليريح ويستريح، وفى المشرحة ظهرت الحقيقة، الأخت عذراء، وكل ما فى الأمر أنها كانت تمارس ريجيماً قاسياً مما أثر على مستوى الهرمونات فانقطعت الدورة ولكن ماذا يفعل العقل أمام غريزة التخلف؟

وكما كشفت المشرحة عن ظلم الأم والشقيق، كشفت أيضاً عن ظلم الأب، فالضحية كانت تعانى من تشوهات خلقية ولدت وغشاء بكارتها مسدود لا يسمح بمرور دم الحيض، وتجمعت الدورة الشهرية على مدار شهور عديدة والبنت لا تشكو إلا من مغص وانتفاخ بالبطن وما أدراك ما انتفاخ البطن عندنا، فالبوصلة الجنسية المركبة فى مخيخ أهالينا دائما ما تشير إلى جبهة الجنس، وتأكد الإتهام أكثر مع وجود الدوخة والإغماء، ولم يتحمل الأب نظرات أهل قريته فى سوهاج، فحز رقبة ابنته بالفأس، وثبت بعد الكشف أن الفتاة بريئة، وأن كل القصة تشوه، حله فى مشرط الطبيب وليس فى فأس الأب.

وإذا كان غشاء البكارة المسدود قد تسبب فى هذه الحالة، فغشاء البكارة المطاط قد تسبب فى مئات الحالات، وكان سبباً رئيسياً فى مئات الجرائم

فنافورة الدم التى ينتظرها الزوج ليلة الدخلة وقبله ينتظرها الأهل، لم تظهر فى الأفق، إذاً وعلى بلاطة وبسرعة البرق توضع لائحة الاتهام، الزوجة فاجرة فقدت بكارتها ، وبما أن الزوج هو الوكيل الوحيد لقطع غيار البكارة، فالمؤكد أن أحداً غير سموه وغير فخامته قد فض الغشاء وهتك العرض، ويتم قتل الفاجرة التى تدفع ثمن خطأ لم ترتكبه وغشاء لا يفض إلا بواسطة جراحة، ولكنه الرادار الجنسى المركب فى عقل الرجل الشرقى، والذى يتغافل عن كل الأهداف العسكرية الحيوية، ويلتقط دبة النملة الجنسية.

ويعلق د. فخرى صالح كبير الأطباء الشرعيين على جرائم الشرف فيذكر فى حواره بـ المصور ٧/٧/٢٠٠٠.

* الملاحظة الأولى : أن الأهالى لا يبحثون عن الفاعل فهم يكتفون بسفك دم الضحية لتبييض العرض دون تحقق ويساعد على ذلك الجهل والحمق وتحكم العاداتالقبلية.

* الملاحظة الثانية : أن الدايات لهن دور كبير فى تلك الجريمة الشنعاء لأنهن تحت ضغط الأهل يجدن الخلاص فى اتهام الابنة خصوصاً وأنه غير مقبول منهن غير ذلك وإلا اتهمن بأنهن يعرفن ويدلسن.

* الملاحظة الثالثة : ٩٩٪ من أطباء النساء يستطيعون إثبات براءة الفتاة من عدمه مع توفر أجهزة الموجات الصوتية الحديثة التى تكشف الحمل ربما فى الأيام الأولى، لكن المشكلة خوف الأهل والبنت من أصله، وخوف الطبيب نفسه من نتيجة ربما لا ترضى الأسرة التى تأتى وقد جهزت الكفن ولم يتبق إلا تصريح القتل الذى يوقعه الطبيب.

* الملاحظة الرابعة : بالرغم من أن الذى غرر بالفتاة كثيراً ما يعترف بخطئه ويتزوج الضحية، فإن الأهل يصرون على الجريمة وربما يقتلون الفتاة

أمام قسم الشرطة الذى تزوجت فيه لأن العار لا يمحوه عقد الزواج بل يغسله سفك الدماء.

الملاحظة الخامسة : من بين ١٦١٠ جرائم قتل عام ١٩٩٩ فى القاهرة الكبرى و١٧٩٣ فى باقى المحافظات فإن ١٠٪ من تلك الجرائم تدخل تحت بند جرائم الشرف.

هذه الملاحظات من كبير الأطباء الشرعيين فى غاية الأهمية فهى تدق ناقوس الخطر لعلنا نستيقظ كما استيقظت دولة مثل الأردن حين سارت مظاهرات الاحتجاج بقيادة الملكة شخصياً لرفض وتجريم هذه الظاهرة، والمطالبة بتعديل القوانين المخففة للعقوبة بدعوى إحترام الباعث النفسى،

إن الدايات لسن المتهم الوحيد بل يشاركهن الأطباء الشرعيين كأن المجرم فيها والمحرض هو الطبيب نفسه وليس الداية، وفيها قتلت الضحية نتيجة تشخيص خاطئ لطبيب،

والقصة بدأت مع ذهاب الشقيق لأحد الأطباء للإجابة عن السؤال الخالد لماذا انتفخ البطن؟، وأجاب الطبيب أنها ليست بكراً ، اتهم الأهل الجار بمعاشرة الفتاة فاضطر الرجل المتهم زورا إلى الزواج منها خوفاً من انتقام الأسرة، وبعد الزواج استمر كبر البطن، رغم أن الزوج لم يدخل بها واعترف لأهلها بذلك، وأجرت الفتاة أشعة عند الطبيب، فكشفت عن ورم ليفى متضخم اضطر الطبيب معه إلى إجراء عملية جراحية ظنها الأهل عملية إجهاض فذبحوها على باب المستشفى.

ومن الذبح إلى الانتحار والذى من خلاله تهرب الفتاة من مصير الموت ذبحاً إلى الموت انتحاراً ، وهناك حكاية بنت روض الفرج التى استحمت فى بانيو مكان شقيقها عدة مرات فحملت دون أن تدرى، وعندما ظهرت علامات

الفضيحة انتحرت بجرعات كبيرة من الأسبرين، وبالكشف عليها اتضح أن غشاء البكارة سليم، وأنها لم تمارس الجنس، وأنها حملت من خلال تسلل الحيوانات المنوية الخاصة بشقيقها فى البانيو.

حكايات وقصص واقعية لطخت ملفات التحقيقات البوليسية وأوراق التقارير الطبية، فيها حرارة وسخونة الدماء التى لا تجف أبداً، والتى تظل شاهدة على الظلم والقسوة والبربرية التى مازلنا نتعامل بها مع المرأة، ولكن ماذا إذا انتقلت هذه الدماء من الملفات لتصرخ ما بين دفتى رواية وتبوح بسرها على شفتى مغنى موال الكل يمجد متولى الجرجاوى قاتل شقيقته شفيقة ويرفعه على الأعناق ويتمايل مع كلمات الموال وتأخذه النشوة حين يصرخ المغنى مطالبا بالانتقام من شفيقة، وضع سائق البيجو شريط موال شفيقة ومتولى، فسمع تأوهات الإعجاب الهيستيرية من ركاب البيجو وكأنهم يتابعون ماتش كورة، واشتد تصفيقهم حين انتهى الموال بقتل شفيقة، وغرقها فى بركة الدم ومازالت كلمات هذا الموال الدموى تتردد.

قالت له يا أخويا تبت على إيديك.

قال تتمحكى وتقولى حاتتوبى وتقولى وعد ومكتوبى.

دى رقعة ما تطلع من توبى .... يامتولى.

الساعة دى ينتظرها بالسكين ضيع منظرها وعزل الجتة من زورها.... يامتولى.

ويصرخ المطرب وقعد يقطع فى شفيقة ويرمى فى الشارع وجت الحكومة قالوا له انزل يا متولى...

نزل يضحك ولا على باله ... وم السجاير طلع عياله...

وبوليس وأهالى فى استقباله .... يامتولى.

وينتهى الموال بهذه الحكمة التى تجعل من متولى بطلاً فيقول : متولى شريف من دى الساعة.

وخلص دم العار بشجاعة.

والحكم ست أشهر إشاعة وصعيدى عنده الشرف غالى

أرى النساء سبب البلاوى فى مرضهم احنا بنداوى.

وعاش بشرفه الجرجاوى وصعيدى عنده الشرف غالى ...

وهكذا يلخص الموال الشعبى الخالد رأى ما يسمى الوعى الجمعى الذى يطفو على السطح وقت الأزمات، فالمرأة هى سبب كل البلاوى وهن مريضات المفروض علينا أن نداويهن ونضعهن فى المصحات، والمهم أن متولى الجرجاوى عندما فصل الرقبة أو كما يقول الموال الزور عن الجسد بذلك يكون قد استرد شرفه الضائع.

ومن شفيقة فى الموال إلى هنادى فى دعاء الكروان، هنادى بنت قرية بنى وركان والتى جعلها طه حسين رمزاً لكل الغلابة المقهورات تحت مطرقة الأهل وسندان التقاليد الهاربة من مطاردة ذوى القربى بتخلفهم ونشوتهم للثأر، والهاربة أيضا من رغبة فالنتينو ابن المدينة وعشقه لاقتحام سدود التمنع وشهوته المتأججة، إلى جميلة بطلة البوسطجى والتى جعلها يحيى حقى ضحية إختلاف المذهب الدينى والشك الجاهز وفضول البوسطجى وتخاذل حبيبها خليل، إلى أن نصل إلى فاطمة بطلة حادثة شرف ليوسف إدريس وهى أهم من تجسد هذه القضية ليس فقط لأن القصة تتضمن فى عدوانها كلمة الشرف، ولكن لأنها تناقش بعبقرية مدى هشاشة وسطحية مفهوم الشرف الذى تتبناه ونحصره فى مجرد غشاء ، ففاطمة التى اتهموها بارتكاب الفاحشة مع غريب فى غيط الذرة، وظلت القرية تستحث أخاها فرج على أن يتأكد من أنها لم تفقد شرفها أى

غشاءها، وطلب فرج من جارتها أم جورج أن تفحص أخته التى كانت مضرب المثل فى الجمال والخجل أيضا، ويصف يوسف إدريس مشهد الإطمئنان على العفة فيقول :

«تسمرت فاطمة فى مكانها على العتبة ولكن النسوة دفعتها دفعاً لا مجاملة فيه حتى سقط الشاش من فوق رأسها، وتولت أم جورج طرد جورج من البيت وإغلاق الباب الخارجى وباب الحجرة الداخلى وشيش النوافذ وزجاجها، وكانت مقاومة فاطمة مقاومة الخجل الفطرى، ولكنهن تكاثرن عليها وأرقدنها على السرير بالضغط والجذب، وتولت إحداهن تقييد يديها وامسكت امرأتان كل بساق من ساقيها، وامتدت أيد كثيرة، أيد معروقة وجافة، حتى بقايا الملوخية التى عليها جافة، وامتدت عشرات العيون الصادقة فى بحثها عن الشرف والمحافظة عليه امتدت كلها انغرست وقلبت وتفحصت حتى وهى لا تدرى عم تبحث، أم جورج وقد تولاها ارتباك عظيم وكأنها المكشوف عليها لا الكاشفة تنهر النسوة بلا فائدة وتطمئن فاطمة بلا فائدة أيضاً، والشد والجذب والصرخات المكتومة تدور فى صمت، وفى همس مروع وسكون الترقب قد خيم على الحجرة، وامتد منها إلى البيت وإلى الخارج وإلى العزبة وإلى الكون كله، فصمت وفجأة انطلقت زغرودة من الحجرة الداخلية، ترددت على إثرها الزغاريد فى المنزل ثم فى الخارج، والألسنة تردد سليمة إن شاء الله والشرف منصان، والمدهش أن فاطمة ذات الشرف المنصان تغيرت ١٨٠ درجة، وأصبحت بعد هذه التجربة وفى نهاية القصة امرأة شبه داعرة لا تعرف الحياء بل تعرف المتهم غريب وتشتهيه».

ومن قصة يوسف إدريس إلى قصة غشاء البكارة نفسه وتاريخه، فتاريخه هو تاريخ الإنسانية والخوف عليه هو المعيار والدافع وأيضا التسلية التى تمنحهم إياها الدمية التى يسمونها المرأة، فمن حزام العفة حتى الختان نستطيع أن

تلخص تاريخ هذا العالم الذى كتبت حروفه على جلد المرأة وروحها، وليس كما يقال على أوراق البردى أو جلود الغزلان، فماذا يقول التاريخ عن هذا الغشاء؟ وماذا يحكى عن العذرية؟.

يحكى كتاب ويستر مارك تاريخ الزواج عن اختلاف نظرة المجتمعات قديماً وحديثاً، شمالاً وجنوباً بالنسبة للعذرية، والمدهش والغريب أن بعض القبائل تفضل المرأة التى فضت بكارتها على المرأة التى لم تفض، والبعض الآخر يقتل من أجل بل يحتفى بفضه ليلة الدخلة كما يحدث فى بعض قرانا المصرية حين يلوح الزوج بالمنديل الغارق فى الدم، والذى سرعان ما ينتقل إلى أيدى أقارب العروس لكى يتفاخروا أمام البلد بأن بنتهم عذراء واتاخد وشها، وبين الطرفين المتناقضين ألوان طيف كثيرة، ففى بعض الشعوب تمارس البنات الجنس قبل الزواج للحصول على مهورهن.

وعند بعض قبائل إفريقيا يفضون بكارة البنات وهن صغار، وتتولى الأم تلك المهمة أو يتولاها رجل مسن، وعند قبائل أخرى يقوم الأب نفسه بفض بكارة ابنته قبل زفافها كما كان فى بلاد السنغال حتى القرن السابع عشر لأنه من وجهة نظره من حقه أن يجنى ثمرة النبتة التى غرسها.

ويحكى الكاتب السورى عبد السلام الترمانينى فى كتابه الزواج عند العرب عن أن بعض نصرانيات الشرق قديماً، كانت تفض بكارتهن بواسطة الرهبان المخصيين، وكان الزوج وقتها يرافق الزوجة إلى الدير ليتأكد بنفسه من أن الراهب هو الذى قام بهذه الفعلة، وقد كانت هذه العادة سارية أيضا فى أوروبا حتى القرن السابع عشر، ومن العادات التى كانت تتبعها بعض الشعوب فى مسألة فض البكارة أن يتعهد رجل غريب بهذه المهمة قبل الزفاف، ويرجع ذلك إلى الاعتقاد بأن دم البكارة نجس كدم الحيض، وأن فيه خطراً على الزوج.

وقد كان فى بابل قديماً تقليد روتينى وهو أن تذهب المرأة البكر إلى المعبد فإذا ألقى رجل غريب فى حجرها قطعة نقود فعليها أن تتبعه ليفض بكارتها فى مكان خارج المعبد، ومن الشعوب من يعهد بهذه المهمة إلى السحرة لأنهم مقدسون ويحولون النجس إلى طاهر، وكان من سعادة النساء أن تحملن من هؤلاء البركة ضماناً للطهارة والمستقبل المشرق.

ولكن المشكلة أن رجال الدين والسحرة والكهان لم يكونوا هم الوحيدون الذين نالوا هذا الشرف، وحصلوا على هذه الحظوة، وإنما شاركهم فيها أصحاب السلطة السياسية من الملوك القدامى والرؤساء فكان من حق هؤلاء أن يمضوا الليلة الأولى مع كل عروس تزف إلى زوجها، ويسمى هذا الحق حق الليلة الأولى أو حق التفخيذ، وكان من الملوك الذين مارسوا هذا الحق الملك مالكوم الثالث ملك إيقوسيا الذى أصدر قانوناً ينص على حقه وحق أخلافه بفض كل عروس قبل أن تزف إلى زوجها، وقد ظل هذا القانون ساريا حتى ألغاه الملك مالكوم الرابع بتأثير زوجته، واستبدل بهذا الحق مبلغا يدفعه الزوج إلى الملك، وقد استغل أمراء الإقطاع هذا القرار أسوأ استغلال إذ أخذوا يتنازلون عن حقهم فى الليلة الأولى مقابل هدية أو مبلغ يدفعه الزوج إليهم، وفى روسيا كان للسادة الإقطاعيين حق فض عرائس أتباعه ، وظل هذا الحق قائماً حتى القرن التاسع عشر.

وعادة فض بكارة العذارى بواسطة الملوك والرؤساء كانت معروفة عند العرب القدامى أيضا ومنهم طسم وجديس، وقد قيل إن ملك طسم المسمى عمليق فى إحدى المرات اعتدى على حق ملك جديس ففض بكارة أخته ليلة زفافها، ومن أجل ذلك قامت حروب بين القبيلتين أبادتهما فعرفوا بالعرب البائدة، ويؤكد ذلك ما روى عن أبرهة الأشرم حين أراد أن يكافئ جنديه أرنجدة على إنقاذه لحياته حين احتل اليمن وترك له حرية اختيار نوع المكافأة، فقال أرنجدة

أريد ألا تدخل امرأة بكر على زوجها قبل أن تبدأ بى فأفترعها، فقال أبرهة لك ذلك، فلولا أن عادة افتراع الأبكار، أو فض بكارتهن من قبل الرؤساء والملوك كانت قائمة حينذاك ما كان لأبرهة أن يقر ويأذن لهذا الجندى بهذا الحق الموقوف على الملوك والرؤساء، وكذلك يروى فى أخبار الزمان للمسعودى أن زعيم اليهود فى يثرب والذى كان يدعى القيطون فض بكارة أخت مالك قبل زفافها، والغريب والمدهش كما ذكرنا أنه فى بعض الشعوب تكون البكارة فضيحة كما فى عشائر الواديجو والباكونجو وفى معظم مناطق إفريقيا الاستوائية، ولدى عشائر الأنجامى ناجاس تقليد حيث يعد تقصير الضفائر دليلا على البكارة، وتخجل الفتيات هناك من أن تقصر ضفائرها، وهكذا نرى أنه حتى فى مسألة البكارة الأمور نسبية ولا تتعلق بالشرف على الدوام.

كان هذا هو التاريخ والجغرافيا فماذا عن التشريح والفسيولوجى؟، كتب الطب تقول إن غشاء البكارة هو غشاء رقيق توجد به فتحة لتسمح بنزول دم الدورة الشهرية، وهذه الفتحة تختلف فى الشكل من امرأة إلى أخرى، فقد تكون هلالية أو مستديرة أو ذات فتحات متعددة ويسمى الغشاء الغربالى، وأحيانا لا توجد فتحة على الاطلاق مما يستدعى تدخل الطبيب لعمل فتحة جراحياً وإعطاء شهادة تثبت ذلك، وأخيرا يوجد النوع الكارثة وأطلق عليه هذا الإسم لما يجره على فتياتنا الشرقيات من مصائب واتهامات وأحيانا اغتيالات.

وهذا النوع هو النوع المطاطى الذى أشرنا إليه من قبل، والذى ينتظر معه العريس تدفق الدم ولكن بلا جدوى، فيرمى باللوم على المسكينة المظلومة وعلى أهلها اللى ماعرفوش يربوها، وهى فى الحقيقة تمتلك هذا النوع إلى جاب لها الكلام الذى له حكايات وقصص كثيرة.

يذكر منها سيدنى سميث فى مجلة الأمن العام عدد يناير عام ١٩٧٢ حالة سيدة تعمل بالدعارة بعد الممارسة لمدة ثلاث شهور، وكذلك حالة امرأة

حامل وجد غشاء البكارة فيهما سليماً، كما يذكر تيلور فى العدد نفسه ثلاث حالات لعاهرات زاولن مهنة البغاء لمدة سبع وثمانى سنوات، ووجد غشاء البكارة فى كل حالة سليماً.

وأكثر من ذلك فإن سهولة تمدد فتحة غشاء البكارة قد تسمح ليس فقط بالإيلاج الكلى بل أيضا بإخراج الأجنة فى حالات الإجهاض دون أن يتمزق الغشاء ، أما فى حالة الحمل الكامل فقد اختلفت الآراء هل يسمح بمرور الجنين أم لا؟،

ويرى معظم العلماء أنه يتعذر مرور جنين كامل دون أن يتمزق الغشاء ويقولون جملة طريفة يصفون بها هذا الفض يقولون يرجع الفضل فى إزالة البكارة للإبن وليس للأب!، وهنا نتساءل مرة أخرى عن كون الغشاء علامة فارقة ودالة وأمينة ومتفردة على الشرف حيث مارست المذكورات الرذيلة برغم وجود الغشاء الحارس الأمين !!

غشاء البكارة لم يختص به الإنسان بل شاركته فيه بعض إناث ذوات الأربع خصوصا القردة، ولكن المجتمع الإنسانى هو الذى تفرد بالأساطير المنسوجة حول هذا الغشاء، وعن ربطه بالشرف، وأيضاً هو الذى اخترع عملية جراحية لتزييفه وهى عملية الترقيع، والتى انتشرت انتشاراً كبيراً فى الآونة الأخيرة لدرجة تخصص بعض أطباء النساء فى هذه العملية فقط، والتى تدر عليهم أرباحاً كبيرة نتيجة للمتاجرة بفوبيا الشرف إنه باختصار أغلى مقلب يشربه الرجل الشرقى، وبالرغم من أنه هو الذى خلق وصنع هذه الأسطورة فإن هذه الخيوط الجراحية التى تلحم الغشاء تلحم معها كرامته حتى ولو كان متأكداً من أنها مزيفة.

وحكايات الترقيع كثيرة ونلتقط من كتاب الإنفجار الجنسى للدكتور ياسر أيوب بعض أقوال العاهرات مثل قال بيقولوا الشرف لو راح ما بيرجعش،

وحكاية القوادة أم شطة التى طلب منها توفير فتاة بكر لأحد الأثرياء فلم تنشغل أم شطة بالبحث عن بكر فذهبت إلى الطبيب بعاهرة محترفة فأعادها بنت بنوت.

وهكذا ظهرت للغشاء فوائد اقتصادية جمة فهو قد حل مشكلة بطالة الأطباء وأيضا العاهرات، وفى الآونة الأخيرة أثيرت قضية ترقيع الغشاء وهل هو حرام أم حلال؟، وهل هو من باب الستر أم من باب تزيين المعصية؟، وثار اللغط ما بين مؤيد ومعارض لدرجة تخصيص جلسات لمناقشة موضوع الرؤية الإسلامية للممارسات الطبية التى عقدت فى الكويت منذ عدة سنوات، وأدلى فيها بالرأى هناك الشيخ محمد الشنقيطى الأستاذ بالجاممعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ عز الدين الخطيب التميمى، والدكتور محمد نعيم ياسين وغيرهم، وخلصوا إلى رأيين :

الأول لا يجوز ترقيع الغشاء مطلقاً، لأنه أولاً فى رأيهم يخلط الأنساب، وثانياً فيه إطلاع على منكر، وثالثاً رتق غشاء البكارة يسهل للفتيات ارتكاب جريمة الزنا لعلمهن بإمكان رتق الغشاء بعد الجماع، ورابعاً لأنه غش ومن غشنا فليس منا، وكل هذا فى رأى الرافضين اعتماد على قاعدتين فقهيتين هما درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والضرر لا يزال بالضرر.

أما القول الثانى الموافق على إجراء الترقيع فيعتمد على السبب، فإن كان سبب التمزق حادثة أو فعلاً لا يعتبر فى الشرع معصية، وإذا كانت الفتاة ستلاقى عنتاً وظلما بسبب الأعراف والتقاليد، كان إجراؤه واجباً، وإذا كان السبب أنها مطلقة أو زانية اشتهر زناها بين الناس فإنه يحرم إجراؤه، وإذا كان السبب زنا لم يشتهر بين الناس كان الطبيب مخيراً بين إجرائه وعدم إجرائه كما يقول د. نعيم ياسين، وقد اعتمد المبيحون للترقيع على :

أولا: النصوص الشرعية الدالة على مشروعية الستر ورتق الغشاء معين على هذا الستر.

ثانيا: المرأة البريئة إذا أجزنا لها الترقيع أو الرتق قفلنا باب سوء الظن فيها فيكون دافعا للظلم عنها.

ثالثا: رتق الغشاء يحقق المساواة بين الرجل والمرأة فكما أن الرجل مهما يفعل الفاحشة لا يترتب على فعله أى أثر مادى فى جسده ولا يثار حوله أى شك فكذلك ينبغى أن تكون المرأة وتحقيق العدل بينهما مقصد شرعى..

وبالطبع أثيرت كل هذه الخلافات لموقع الفتاة البكر المفضل على الثيب التى لا تملك هذا الغشاء ، فالبكر فى الثقافة الإسلامية جمالياً وجنسياً مفضلة عن الثيب التى سبق لها الزواج، والحديث هنا يطول والاستشهادات لا حصر لها ولا عد، ولكن يحضرنى هنا سؤال غريب وصل للمفتى السابق نصر فريد واصل عن حكم بعض الرجال الأرستقراطيين المتزوجين الذين يجرون عمليات ترقيع لزوجاتهم لاستحضار طقوس الزفاف!! وهنا تظهر أهمية الغشاء الذى أضفنا إليه وظيفة الإمتاع، برغم أن فضه علمياً لا يحل أية متعة، بل يحل على العكس ألماً، ولكن المهم أن هذا الخلاف السابق ما بين مؤيدى الترقيع ورافضيه أثير فى مصر بقوة وعنف حين صدرت فتوى جواز الترقيع للمغتصبة، وهاج وماج الكثيرون على هذه الفتوى، وحكموا على المغتصبة بأن تجرس وتنفضح برغم أنها الضحية، ذلك كله حفاظاً على سلامة البضاعة والتأكد من تاريخ الصلاحية.

يقودنا موضوع ترقيع المغتصبات إلى نتيجة أخرى ، وهى أن الاغتصاب أثبت لنا أن شرف المرأة فى مصر يخضع للتقسيم الطبقى، ففى دراسة مهمة للدكتور أحمد المجدوب أستاذ الاجتماع على ثلاث حالات اغتصاب شهيرة

شغلت الرأى العام المصرى، كتب المجدوب عن كيفية تعامل واستقبال هذا الرأى العام لتلك الحالات، القضية الأولى هى القضية الشهيرة باسم فتاة المعادى، وهى الفتاة التى اغتصبها أربعة من عمال البناء الذين لمحوا أثناء سيرهم ليلا بعد إنتهاء عملهم شاباً وفتاة يمارسان فعلا فاضحا، وهو الأمر الذى أثارهم جنسيا، فاندفعوا نحوهما لينحيا الشاب جانبا ويحلون محله الواحد تلو الآخر.

وبحثت الشرطة على الفور عن الجناة وتابعت الصحافة باهتمام مذهل وحكم مسبق حشده له الرأى العام، فصدر الحكم على وجه السرعة بالإعدام، أما القضية الثانية فهى قضية فتاة إمبابة التى اغتصبها سبعة رجال بعد بضعة شهور من حادث المعادى، والحكاية أن المرأة وزوجها كانا لدى محاميهما فى مكتبه بشأن قضية لهما وعند نزولهما مع المحامى ليلاً خرج عليهم سبعة رجال اختطفوا السيدة وأخذوها فى عشة وتناوبوا اغتصابها حتى الصباح، وبعد القبض على الجناة انتظرنا أن تتحمس الصحف لفتاة امبابة كما تحمست لفتاة المعادى، ولكن هيهات فقد لزمت الصحف الصمت، ومن اهتم ونشر كتب بالبنط الصغير، وصدر الحكم بسبع سنوات لكل منهم برغم أن الحالة الثانية كانت أخطر وأقسى، فقد كانت سيدة إمبابة تمشى مع زوجها ومحاميها وبكامل ملابسها، وعدد المغتصبين سبعة، ولكن الفرق بين الحكمين هو الفرق بين المعادى وامبابة،

أما القضية الثالثة فقد كانت قضية فتاة العتبة التى كانت تنتظر الأتوبيس فى موقف العتبة وأثناء الهرج والمرج الذى يحدث عند قدوم الأوتوبيس، امتدت يد أحد العابثين إلى ما تحت ثيابها فصرخت وسقطت على الأرض وسقط فوقها بعض الركاب الذين اتهموا باغتصابها، وأصبح جسد فتاة العتبة مباحاً للجميع، وسألتها بعض الصحف : هل فقدت بكارتك؟، بالطبع كانت مثل تلك الأسئلة حلالا على فتاة العتبة وحراماً على فتاة المعادى لأن الثانية بنت ناس والأولى

بنت بيئة !!، وهكذا خضع الشرف فى مصر للتقسيم الطبقى والتمييز العنصرى والظروف الاقتصادية.

وتعد جرائم الشرف من الجرائم التى دار حولها الجدل بشدة فى الآونة الأخيرة، فمرتكبها هنا يتعامل معه القانون بشىء ممن التمييز والدلع بعض الشىء ، فالقانون يحترم الباعث على الجريمة فى حالة قتل الأخ لأخته فى جريمة شرف مثلا، وذلك لأننا كما ذكرنا من قبل أن متولى الذى قتل شفيقة بطل فى نظر الفولكلور المصرى ومذنب نص نص فى نظر القانون المصرى، وهذه المسألة لم تقتصر على مصر فقد شملت كل البلاد العربية، وكانت أعنف مظاهرها فى الأردن كما ذكرنا من قبل، حيث تموت كل عام أكثر من عشرين فتاة نتيجة ما يطلق عليه جرائم الشرف، وقد قاد أمراء من العائلة الملكية الهاشمية فى الأردن مظاهرة ضمت نحو خمسة آلاف شخص توجهت إلى مقر البرلمان الأردنى للمطالبة بإلغاء المادة ٤٠ من قانون العقوبات، والتى تتيح لمرتكبى جرائم القتل بحجة الدفاع عن الشرف الحصول على أحكام مخففة، وبعدها تحدى عبد اللطيف عربيات العضو الإسلامى البارز هناك فى مؤتمر صحفى، وأعلن أن حزب الجبهة المعارض مستعد لعمل استفتاء وهو متأكد من أن النتيجة ستكون فى صالح الإبقاء على المادة، وأكد إبراهيم زايد الكيلانى رئيس لجنة العلماء بالحزب أن إلغاء المادة مخالف للشريعة الإسلامية وسيشجع على الإنحلال.

ومن الأردن إلى مصر التى مازال فيها حتى الآن تمييز قانونى بين الرجل والمرأة فى جرائم الشرف خصوصاً فى مواد عقوبات جريمة الزنا، فالمفترض أن الجريمة أخلاقية يعاقب فيها الرجل مثله مثل المرأة ولكن الواقع غير ذلك ولنقرأ نصوص القانون :

– نص المادة ٢٣٧ من قانون العقوبات كل من فاجأ زوجته حال تلبسها بالزنا وقتلها هى ومن يزنى معها فى الحال، يعاقب الحبس بدلا من العقوبة المقررة للقتل العمد، أى أن الجناية نزلت إلى جنحة، ولكن إذا فاجأت زوجة زوجها فى حالة زنا وقتلته تعاقب بعقوبة الجناية، ولا تستفيد من التخفيف الذى استعمل مع الزوج، وقد برر رجال القانون ذلك بأنها طبيعة الرجل الشرقى الغيور، ولم يفترضوا أن المرأة هى الأخرى كائن بشرى غيور، بل هى أكثر غيرة من الرجل، وكأن الرجل مباح له الثورة على عكس المرأة التى لابد أن ترضى بقضاها، وبهذا من الممكن أن يحكم عليها بالإعدام على الجريمة نفسها التى يعاقب عليها الزوج بثلاث سنين سجناً!

– نص المادة ٢٧٣ لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها، إلا أنه إذا زنى الزوج خارج المسكن المقيم فيه مع زوجته لا تسمع دعواها عليه.

– نص المادة ٢٧٤ المرأة المتزوجة التى ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد على سنتين، لكن لزوجها أن يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت !!

مما سبق نرى أن المشرع اشترط لقيام جريمة زنا الزوج أن تتم فى منزل الزوجية ، ولابد أن تثبت عليه التهمة، أما الزوجة فعقابها فى جريمة الزنا يقع فى أى مكان وتعاقب عليها فى أى مكان وذلك بالرغم من أن الجريمة واحدة، ولكننا نرى العقاب مختلفاً، فالمرأة تحبس لمدة سنتين والرجل ستة شهور، وهنا التمييز واضح وجلى، ونتساءل هنا: هل ذلك من بين إجراءات القوامة؟، وإذا كانت المرأة ناقصة عقل ، فلماذا لا يخففون عنها العقوبة انطلاقا من مبدأ ليس على المجنون حرج !!، أم أن المسألة اعتناق تفسيرات عندما تكون فى صالح الرجل، وإهمال تفسيرات أخرى عندما تكون ضده ؟!!

وليست عقوبة جرائم الزنا هى التى يتم فيها التمييز بين الرجل والمرأة فقط، ولكن جريمة الدعارة أو تعود ممارسة الفحشاء هى الأخرى فيها تمييز واضح ومجحف بين الرجل والمرأة ، فالرجل الذى يمارس الدعارة والفحشاء مع الأنثى يعتبر شاهداً، أما الأنثى التى كانت معه تعاقب بالحبس لمدة ثلاث سنوات، وهذا للأسف مثبت بحكم محكمة النقض بجلسة ١٩٦٣/٦/٣ والذى يقول لما كان الحكم قد أقام الحجة بما أورده من أسباب سالفة على مقارفة الطاعنة الفحشاء مع الرجل الذى كان معها وقت الضبط، ووجودهما معاً فى حالة تنبئ بذاتها على وقوع هذه الجريمة، واستظهر ركن العادة بالنسبة إلى جريمتى إدارة المحل للدعارة وممارستها بما استخلصه من شهادة شاهد من سابقة تردده عدة مرات لإرتكاب الفاحشة معها، فلا تثريب على المحكمة إن هى عولت فى إثبات هذا الركن على شهادة الشهود، طالما أن القانون لا يستلزم لثبوته طريقة معينة فى الإثبات.

وذلك يعنى باختصار وبدون الدخول فى مصطلحات قانونية أن الذى مارس معها الدعارة أخذ برأيه كشاهد على تردده أكثر من مرة بغرض الممارسة فثبت ركن الاعتياد لممارسة الدعارة، أى أن الرجل أرضى مزاجه ثم ذهب إلى المحكمة معززاً مكرماً، كشاهد ويمكن يكون اتعزم على شاى وسندوتشات، بينما المرأة التى شاركته الفعل نفسه، والوقت نفسه تنظر إليه بحسرة من خلف القفص الحديدى، ولأننا نعشق الكسل فقد استرحنا عندما اختصرنا شرف المرأة فى مجرد غشاء، وهو أكبر وأعمق من ذلك بكثير، وبرغم رقة هذا الغشاء ودقته، فإنه غليظ فى مشاكله ومعقد فى الأساطير المنسوجة حوله، ولذلك سيظل عود الكبريت مولعاً لا نعرف هل هو يضىء لنا أم يحرق أيدينا؟ هل هو نور أم لهب؟.

وسنظل نحن أيضاً نردد طول العمر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم.

قلت : لا ينبغى أن نستحى من إثارة بعض المسائل المتعلقة بالجنس لبيان وجه الحق فيها والشرح العلمى مثل ما ذكرناه من أنواع غشاء البكارة خاصة أن الجهل بهذه المعلومة كما رأينا يؤدى إلى كثير من جرائم القتل لفتيات بريئات.

وأنبه إلى أن القانون الوضعى يحتوى على كثير من المخازى والتناقض مع ديننا وعاداتنا وتقاليدنا لأنه وضع لشعوب أخرى لا تدين بديننا وليس لهم مثل عاداتنا ، وبذلك صار حالنا مثل حال الثوب المرقع بمائة رقعة .

كما ألقى باللوم على من سمحوا بانفلات العيار بإباحة العرى والسفور والتبرج والاختلاط فى دور العلم وغيرها وانتشار الفن الخليع والأفلام الخليعة ، كل ذلك يساعد على انتشار الانحلال والزواج السرى ويهدم صرح الأخلاق. وعلينا أن نغربل العادات والتقاليد الواردة لنا من الشعوب الملحدة .

فليس هناك فى الإسلام ما يعرف باغتصاب الزوج لزوجته فالزوجة مطالبة بتسليم نفسها لزوجها ما لم يكن لديها عذر شرعى كصوم الفريضة والمرض الشديد والحيض والنفاس .

للرجل أن يضرب زوجته إذا امتنعت عن تسليم نفسها له بدون عذر شرعى ويكرهها على الجماع ، أما ما يجرى فى العالم الغربى من محاكمة بعض الأزواج بتهمة اغتصاب زوجاتهم فهى مهزلة بكل المقاييس.

والإسلام قد انصف المرأة وأعطاها الحقوق والتكريم مالا يجاريه فيه أى تشريع أو قانون .

ومن ذلك حق الفتاة والمرأة فى اختيار زوجها وعدم حق الولى فى إجبار

موليته على الزواج بمن لا ترغب فيه. والذمة المالية المستقلة للزوجة واحتفاظ المرأة باسم أسرتها بعد الزواج .

أما القيود التى يفرضها الإسلام على خروج المرأة وملابسها وغير ذلك فهى لصالحها وصالح الاستقامة والشرف واستقرار الأسرة وعدم اختلاط الأنساب.

وقد دأب بعض المستشرقين والمستغربين على تحريض المرأة ضد زوجها وبيتها وإسلامها ومجتمعها وإغرائها بالتهتك والمطالبة بالمساواة التامة فى الميراث مع الرجل والمطالبة بتحريم تعدد الزوجات والتمرد على الحمل والرضاعة والمطالبة بالحرية المطلقة فى الخروج والسهر وتعاطى الشيشة والعرى والرقص وغير ذلك مما أدى إلى تفسخ المجتمعات الإسلامية وانتشار الزنا والبغاء .

والحق أقول إن المساواة التامة والمطلقة بين الرجل والمرأة خرافة فالله تعالى يقول : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

ويقول : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾

وقول الرسول ﷺ : النساء ناقصات عقل ودين .

وقوله ﷺ : لم يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ، وهذا لا يتعارض مع احترام المرأة ومكانتها وحفظ جميلها باعتبارها الزوجة والأم والأخت والحبيبة وشريكة الرجل ولكن للمرأة دور وللرجل دور ولو كانت هناك مساواة ومماثلة بين الجنسين لخلقهما الله تعالى جنسا واحداً .

وإذا كان القتل مرفوضا بعيداً عن الحاكم ، وتبقى هناك مشكلة المرأة المحصنة التى تقترف الفاحشة والفتاة التى تفعل ذلك ، وهناك التى تفعل ذلك بصورة عارضة والمصرة على هذا الفعل حتى صار عادة ملازمة لها .

كيف يتصرف معهن الأهل ؟

لعل هذا التساؤل يكون موضع بحث ودراسة من الباحثين وعلماء الدين وعلماء النفس والاجتماع .

كيف تجعل زوجتك تحبك (١)

تقبل عيوب زوجتك :

الحياة الزوجية حياة حافلة بالأحداث ، وعشرة عمر كما يقولون ، ولذلك يطلع فيها الزوجان على عيوب بعضهما اطلاعاً كبيراً ، وقد لا يعجب الزوج فى زوجته عيباً معيناً .

وقد يكون هذا العيب شديداً على الزوج ، ولكن فى نفس الوقت للزوجة ميزات كثيرة ، وخصال حميدة عديدة . وهذا كله يدعو الزوج للتريث فى الأمر ، وأن لا يحكم على زوجته من خلال عيوبها فحسب ، بل ينظر للحسنات والسيئات، والميزات والعيوب معاً ، ولا يحكم بنظرة أحادية ... ولا يكره زوجته لخلق معين موجود تطبعت به.

قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء]

فلا يكره الزوج زوجته لخلق معين ، كلا ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ «لا يفرك (يعنى : يبغض) مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضى منها خلقاً آخر» (رواه مسلم) .

وليعلم الزوج أنه لن يجد الزوجة التى تخلو من العيوب ، وقد تكون زوجته رغم عيوبها خير من كثيرات غيرها هو لا يرى فيهن هذه العيوب .

(١) كيف تجعل زوجتك تحبك ـ عادل فتحى عبد الله ـ دار الإيمان .

إذا أردت أن تعرف ذلك أمسك ورقة وقلماً ، واكتب مميزات زوجتك وعيوبها ، وسترى المميزات تفوق العيوب بكثيرة ... واعلم أنك فى الحياة الزوجية لا يمكنك الحصول على زوجة على (مقاسك) تماماً ، لابد وأن تختلف الطباع ، ولابد وأن ترى ما يعجبك وما لا يعجبك.

يقول لورانس جولد فى كتابه (استمتع بالحياة) : «وأفضل ما يُشبَّه به الزوج هو (محل البقالة) الذى تجد فيه أصنافاً من الأغذية (جاهزة) ولا تجد فيه أصنافا تعد لك (حسب الطلب) ، فالمجال حينئذ أمامك أن تختار أنسب الأصناف وأقربها إلى طلبك ولو أنك أخذت الزواج هذا المأخذ لوجدته أبهج وأمتع».

وهو يقصد أن زوجتك ليست ولن تكون كما تريد تماماً ، لأنها أخذت قسطا من التربية يختلف عما أخذته أنت ، وتطبعت بطباع غير طباعك .

قد تتشابه معك فى بعض الأمور وقد تختلف فى البعض الآخر ، فتقبل هذا الأمر، ولا تصارع الحياة ... وتغالب الطباع التى تأصلت، فليس من السهولة بمكان تغييرها . وإن كان ممكنا لكن بعد فترة طويلة وصبر عميق جميل ، وتدريب مستمر ونفس طويل وروح طيبة مثابرة .

احترس من الصغائر

تتجمع الصغائر شيئا فشيئا حتى تصبح كبائر ، وقد يختلف الزوجان وقد تحدث بينهما بعض المشكلات بسبب أمور تافهة ، ولكن عدم حل هذه المشكلات، وتركها معلقة ، يجعلها تتراكم بعضها فوق بعض فتصبح كالجبال ، ويصبح حلها عسيراً على الرغم من أن الناظر المنصف للأمر يرى أنه لا يستدعى كل ما حدث بين الزوجين من خلافات .

ولذلك قال (دايل كارينجى) : «إن الصغائر فى الحياة الزوجية يسعها أن

تسلب عقول الأزواج والزوجات ، وتسبب نصف أوجاع القلب التى يعانيها العالم».

ولم كل ذلك ؟ السبب الأساسى الذى نظنه وراء ذلك ليس هو الصغائر ، وإنما طريقة التعامل مع هذه الصغائر . أن الزوج وعدم صبره على بعض ما يصدر من زوجته من هذه الصغائر . ثم نقده لها ، ومحاولة تغييرها والتغلب عليها ، هذا ما يجعل النفس تضييق بسرعة من هذه الصغائر. ولو أنه أخذ الأمر ببساطة ولم يختنق لمثل هذه الأمور ، والتمس لزوجته العذر فيها ، لما شعر بعد وقت بتلك المشكلة . لكن أن يأخذ الزوج كل تلك الأمور على أعصابه ، ويضجر منها ويختنق ، فهذه هى المشكلة الحقيقية .

وقد صرح بعض القضاة وكان قد فصل فى أكثر من أربعين ألف قضية طلاق صرح بالقول : «إنك لتجد التوافه دائماً وراء كل شقاء يصيب الأزواج»

قدم لها العون

فى شؤون المنزل

ليس شرطاً أن تعينها فى شؤون المنزل بصفة دائمة ... لكن عندما تجدك بين الحين والآخر تقوم بمساعدتها ، فإنها سوف تشعر بالسعادة وبالتالى سينعكس ذلك عليك .

وقد يظن بعض الرجال أن عمل أى شئ فى المنزل ينتقص من قدرهم أو يقلل من رجولتهم ، وهذا الأمر غير صحيح مطلقاً .

ولقد كان خير البشرية وسيد ولد آدم سيدنا محمد ﷺ هو خير الناس لأهله وكان عوناً لهم فى شؤون البيت ، على الرغم من كثرة أعبائه الدعوية ﷺ تقول أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ حين سُئلت عنه

قالت : «كان بشراً من البشر يفلى ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه» (رواه أحمد وغيره)

وعنها أيضاً : «أن رسول الله ﷺ كان فى مهنة أهله (يعنى خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» (رواه البخارى) .

هذا على الرغم من كون خدمة المرأة زوجها واجبة ، إلا أن مساعدته إياها من حسن العشرة مما يزيد الحب بينهما خصوصاً عندما تكون الزوجة مرهقة من أعمال البيت .

لا تكن بخيلا بمشاعرك

أشد الناس بخلا من يبخل على زوجته بالحب ، ومن يبخل عليها حين يجمعهما اللقاء الروحى والجسدى ، واللقاء يفضى فيه بعضهم إلى بعض ... أو ما يسمى باللقاء الجنسى. وذلك حين يكون هدف الزوج أن يرضى نفسه ، ويشبع رغبته ويقضى نهمته فحسب ، ولا ينظر لحال زوجته وإرضائها ، وهل هى شبعت كما حدث له أم لا .

وهذا يسبب عدم التوافق الجنسى ، يقول الإمام أبى حامد الغزالى : «.. ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضاً نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها . ثم القعود عنها إيذاء لها ، والاختلاف فى طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال ، والتوافق فى وقت الإنزال ألذ عندها حتى لا ينشغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحى»[1].

والخطأ الذى يقع فيه بعض الأزواج أن يظن أن على زوجته تلبية رغبته

(١) إحياء علوم الدين (٢/٥٠) حجة الإسلام أبى حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ط دار المعرفة . بيروت.

الجنسية وأنه ليس عليه أن يراعى الآداب التى ينبغى اتباعها عند الجماع !

ومن هذه الآداب مؤانسة الزوجة وملاطفتها ومداعبتها ، وذلك حتى تتهيأ هى كذلك لمثل هذا الأمر ، وتتجاوب معه ، فالقبلات واللمسات والأحاديث الحارة وغير ذلك من المداعبات التى يعرفها الزوج ، كل ذلك أمر ضرورى كمقدمة للجماع.

فلا ينبغى أن يقع الزوج على زوجته كما تقع البهيمة ، ولكن ليجعل بينهما رسولا ، كالقبلة والكلام والمداعبات المختلفة ، وليعلم الزوج أن إهماله شأن زوجته فى هذا الأمر واهتمامه باشباع رغبته فحسب ، والبعد عن الزوجة بمجرد قضاء الشهوة كل هذه الأمور تتسبب فى جفاء العلاقة بينه وبينها . ،يصبح ذلك سبباً مستتراً وراء كثير من المشكلات ، ولا تفصح عنه الزوجة إحراجاً ، وتتحجج بحجج أخرى هى حجج ليست أساسية .

لقد بحث أحد الأطباء المتخصصين حالة عدد كبير من الأزواج والزوجات واستغرق بحثه سنوات ، وخرج بنتيجة هامة وخطيرة صرح بها فى كتابه (ما خطأ الزواج) هذا الطبيب هو الدكتور هاملتون ، وقد لخص النتيجة التى خرج بها بعد هذا البحث الطويل فى قوله : «إن عدم التوافق الجنسى يجثم دائماً فى قراره كل زواج فاشل . فإن كل المشكلات الأخرى يمكن أن يغض عنها الأزواج الطرف لو أن التوافق الجنسى استتب بينهما» ، فهل بعد ذلك يبخل الزوج على زوجته بأن تستمتع هى كما يستمتع ؟ !

احترم عقلها وتفكيرها

قد يسخر بعض الأزواج من عقل زوجته ، ومن طريقتها فى التفكير ، والزوج الذى يفعل ذلك إنما ينشر المتاعب ولا يبغى السعادة الزوجية ، كما أنه زوج غير جدير باحترام زوجته له ، لأن الاحترام شئ متبادل ، وطالما أنك لا

تحترم شخصاً ما فلن يحترمك هذا الشخص ، حتى وإن بدا لك العكس .

والزوجة التى تشعر من زوجها بهذا الأمر الذى هو السخرية من عقلها ومن طريقة تفكيرها، هذه الزوجة لن تمنح زوجها الحب .

وهناك بعض النساء يمتزن بذكاء أفضل من ذكاء كثير من الرجال ، والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر ولا يتسع لذكرها المقام

لكن كل ما فى الأمر أن ذكاء المرأة جعله الله بنسب تختلف عن نسب ذكاء الرجل ، فهو ذكاء من نوع خاص . ولها اهتمامات خاصة ، وذلك لحكمه جليلة يعلمها الله تعالى .

وربما ذلك إثراء للحياة، لتتنوع ولا يتحكم فيها الرجل بعقله فحسب ، بل تأتى عاطفة المرأة الجياشة لتعطى الحياة معنى آخر .

وإذا كان الرجل فعلاً قد تزوج امرأة قليلة الذكاء أو معوجة التفكير ...

[illegible] ذلك أمامها ، أو أن يسفه دائماً رأيها ، بل عليه

ولقد رأينا كيف تدخل الشيطان فأوحى لأزواج بظنون وأوهام وشكوك ، فاتبعها هؤلاء الأزواج واتهموا زوجاتهم بتهم هم منها برءاء ، وتسبب ذلك فى خراب بيوت مسلمة.

والمشكلة فى الظن السئ أنه يصعب التخلص منه ، وأنه لا يرى صاحبه سواه وقد يكون أمامه ألف سبب وسبب لكنه لا يرى سوى ما يدور فى ذهنه فقط .

لذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) ﴾ [النجم]

وقال ﷺ : «إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث» (رواه البخارى ومسلم).

أشعر زوجتك بأنها الزوجة المثالية :

يظن بعض الأزواج أن كثرة النصائح والتوجيهات التى يقدمها لزوجته هى التى ستكون سببا فى اصلاح ما يرى فيها من عيوب ، ثم إذا به بعد فترة يشتكى فيقول : لقد بذلت كل جهدى لاصلاح شأنها ومع ذلك لم أستطع تغيير أى شئ ؟ ترى ما السبب فى ذلك ؟ !

إن هذا الزوج لم يفهم كيف يتعامل مع زوجته ، بل لم يفهم كيف يمكن اصلاح عيوب الناس .

لو ظللت تنتقد شخصاًما وتوجه له اللوم على أمر معين ، ترى هل يتسبب ذلك فى كف ذلك الشخص عن هذا الفعل ؟ ! الحقيقة التى يؤيدها الواقع أن الاجابة تكون بالنفى ، فإن الشخص عندما يوجه له النقد والتوبيخ على أمر ما ، لا يهتم بذلك الأمر قدر اهتمامه بشخصه الذى وجه إليه اللوم والتوبيخ ، ومن ثم

يحاول بشتى السبل أن يدافع عن شخصه ، وأن يبرئ نفسه .. والذين يتبعون مع زوجاتهم نفس الطريقة يفاجئون بذات النتيجة .

فإذا أردت أن تستمتع بالسعادة الزوجية حقاً ، فعليك بأن تثنى على زوجتك ثناءً جميلاً ، وتشعرها بأنها الزوجة المثالية ، ثم إذا أردت أن تُلمح لبعض الأخطاء فليكن ذلك بلباقة بعد مديحك لها على أمور أخرى أحسنت صنعها ... بذلك ستجد الاستجابة والحب .

ساعد زوجتك على تنمية مواهبها :

هل تقف مع زوجتك فى تنمية مواهبها والاهتمام بها ، وفى ممارسة هوايتها ؟ !

إن عليك أن تعلم أن الشخص حين يرى من يهتم به ويساعده فى تلبية رغباته يقدر ذلك ويحبه كثيراً .

وهناك بعض الأزواج يحتقرون مواهب زوجاتهم وهوايتهن ، فترى مثلا الزوج يسخر من هواية زوجته ، وينظر إليها على أنها أمراً تافهة ... وهذا شئ فظيع يجعل المرأة تختنق من الزوج ، وهذا الزوج الذى يسخر من مواهب زوجته هو زوج جاهل ، ولا يعلم كيف يتعامل مع الناس ، بل ومع أقرب الناس إليه .

يجب أن تحترم هواية زوجتك ، مهما كانت هذه الهواية تبدو فى عينيك تافهة .. خذ أمامك مثلا رسول الله ﷺ .. كان يدرك حقيقة صغر سن زوجته عائشة - رضى الله عنها - فكان يجرى فيسابقها فتسبقه مرة ، ويسبقها أخرى .

وكان يمازحها بخصوص هذا الشأن ، فمرة وجدها تلعب بحصان له جناحان ، فعن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - أنا قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر ، فهبت الريح ، فكشفت ناحية

الستر عن بنات لعائشة لعب ، فقال : «ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : بناتى ، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع . فقال : «ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ » قالت : فرس ، قال : «وما هذا الذى عليه ؟» قالت : جناحان ، قال : «فرس له جناحان ؟ » قالت : أما سمعت أنه كان لسليمان فرسا لها أجنحة ؟ ! فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه»[1]

فإذا وجدت زوجتك تلعب مثلا بعض الألعاب الطفولية فهل تمازحها كما فعل رسول الله ﷺ أم تسخر من هوايتها ؟

لتعلم أيها الزوج أن الهواية أو الموهبة بالنسبة للشخص شئ محبب له ، وهو يرى فيه نفسه ، ويشعر معه بالسعادة ، وأنت حينما تحطم موهبته أو تسخر من هواياته فإنك تعترض الطريقة التى يستمد منها سعادته ... وهذا ليس من حقك ... بل إنه يجعل الأمر ينقلب عليك بالنكد عندما تفعل ذلك الأمر مع زوجتك.

يقول هنرى جيمس : «أول ما ينبغى أن تتعلمه فى فن معاملة الناس هو ألا تعترض الطرق التى يستمدون منها السعادة ، اللهم إن كانت هذه تعترض بالقوة طريقك أنت»[2].

أن تحفظ زوجتك من عيوب شياطين الإنس :

ليت شعرى كيف يسير رجل فى الطريق العام يصطحب زوجته معه ، يمسك بها فى يده وقد تبرجت وتزينت وتعطرت ، كأحسن ما تكون ؟ !

كيف بالله عليك أيها الزوج المسلم ترضى لغيرك أن يحملق فى زوجتك ،

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ، والنسائى فى «عشرة النساء» (١/٧٥) بسند صحيح . انظر تخريجه فى «آداب الزفاف للألبانى» (ص ٢٠٤)

(٢) «كيف تكسب الأصدقاء» دايل كارينجي

وأن يقلب فيها ناظريه ليرى ما فعلت بنفسها ، وليطلع على عوراتها ؟ !

ألا تغار على زوجتك؟ لنفترض أنك تغار، فلماذا تسمح لها بالخروج هكذا؟ هل لأنك لا تستطيع التحكم فى تصرفاتها؟ ؛ أم أنك تجهل عاقبة أمرك وأمرها؟

استمع إلى حديث رسول الله ﷺ وهو يقول : «صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (رواه مسلم) .

قال العلماء : نساء كاسيات عاريات : يعنى يلبسن ثياباً رقاقاً يظهرن العورات ثيابا تصف ما تحتها. وهل سمعت حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهى كذا وكذا .. يعنى زانية» (رواه أبو داود والترمذى وقال «حسن صحيح» والحاكم وصح اسناده) .

فإذا كنت تغار حقاً على زوجتك فإن عليك أن تعظها فى نفسها وتقول لها قولاً بليغاً، بأن تترك هذا اللباس الكاشف للجسد ، وتلبس ما يستر العورات ، وأن تسير معها خطوة خطوة فى سبيل الاصلاح لعل الله تعالى أن يصلح حالها واعذرنى فإنك المخطئ منذ البداية لأنك أسأت الاختيار فاخترت من لا تحفظ العورات عن عيون الناس . . وأنت المسؤول عن اصلاح هذا العوج فى زوجتك

واحذر أيها الزوج المسلم ... من دعاة على أبواب جهنم سيقولون لك إن المرأة حرة فى أن ترتدى ما تشاء ، فإن هذه حرية شخصية وقل لهم إن الحرية تكون فى ظل الإسلام ، وفى ظل الإلتزام بمنهج الله ، فهل يكون الإنسان حراً فى أن يقتل غيره مثلاً ؟ أو حراً فى أن يسرق غيره ؟

نعم إنها حرة لكن فى ظل التمسك بقانون الله تعالى وشريعته فى أرضه وقانون الله مع النساء :

﴿ .. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ .. (٣١) ﴾
[النور]

إن ظهور المرأة عارية الصدر أو الذراعين أو الشعر أو نحو ذلك فيه اضرار محقق بالآخرين، ولا حرية مع تحقيق الضرر للآخرين . بل وفيه ضرر بالمرأة نفسها .. فليعتبر أنصار الحرية .

تمتع بنعمة النسيان :

هل تشعر أحيانا أن النسيان نعمة من النعم العظيمة التى من الله تعالى بها على الإنسان ؟ ! ولو لم ينعم الله علينا بهذه النعمة لاستحالت حياتنا جحيما لا يطاق .

ذلك لأن الإنسان عن طريق النسيان ، ينسى الأحداث المؤلمة والمصائب المفجعة ولولا ذلك لعذب بها كثيراً ، ولم يستطع منها فكاكا .

وكثير من الناس لا يرى هذه النعمة، ولا يقدرها قدرها، بل إنه دوماً يذكر نفسه بالأحزان والمصائب والمشاكل. وبعض الأزواج يظل يتذكر سلبيات زوجته ولا ينساها .

ومن ثم يظل يذكرها بها ... وإذا فعلت خطأ ما تجده يقول لها ألم تفعلى كذا يوم كذا ... ويظل يعدد سلبياتها ، وهو بهذا يجمع الهموم كلها .

إن الإسلام العظيم علمنا أن ننسى الإساءة من إخواننا المسلمين ، فكيف بزوجاتنا ؟ ! وعلمنا أن ندفع بالتى هى أحسن مع أعدائنا فكيف مع أحبانا ؟

يقول تعالى :﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) ﴾ [فصلت]

ولقد تعرض رسولنا ﷺ لبعض المشكلات من زوجاته نتيجة غيرتهن فتحملها وكان رحيماً بهن ، ولم يؤاخذهن بكل صغيرة وكبيرة ، بل كان يعفو ويصفح ... وهذه أخلاق الزوج الصالح .

أخيرا لا تتوقع المعجزات :

إننا جميعا كبشر يشوبنا القصور والعجز ، والحياة بصفة عامة والحياة الزوجية بصفة خاصة لا تخلو من الكدر، والزوجة باعتبارها إنسانا لا تشذ عن قاعدة القصور .

والزوجة باعتبارها امرأة لها صفات وخلال ككل امرأة ، مهما حاولت تغييرها فلن تستطيع ... وهى بتلك الصفات التى تتميز بها كامرأة ... تمثل نسيجاً آخر ، غير الرجل ، وهى نسيج مهم وضرورة للحياة ، ولاستمرار الخلق، ولو خلقت كالرجل سواء بسواء من الناحية النفسية والانفعالية والمزاجية لما أعطت للحياة بهجتها ومتعتها ، ولفقدت الحياة أبهج ما فيها ... نعم قد تتسبب أحيانا فى النكد ... لا بأس ، كما يقولون فلا توجد «حلاوة من غير نار» .

قد تكون زوجتك صاحبة صفات معينة ، قد تعودت عليها أو جبلت عليها ... تقبلها كما هى ، ولا تتوقع أنها يمكن أن تنقلب إلى الضد تماماً ... أو تتغير صفاتها بالكلية !!

يجب أن تعلم أمراً مهما وهو أن تغيير الصفات والطبائع ليس بالأمر السهل ... وقد يكون مستحيلا فى بعض الحالات .

لا تحمل على كاهلك هم تغيير زوجتك لتجعلها شخصاً آخر مناسب لك تماماً ، أو لتشكلها كما تريد ... لأنك إن حملت هذا الهم فستظل تحمله ربما طول الحياة ، ولن تستفيد شيئاً سوى أنك أتعبت نفسك وغير ... ونحن نتكلم عن الصفات والخصائص ، ولا نتكلم عن السلوكيات الخاطئة مثلا والتى تعد من

الذنوب ... كلا فالمطلوب من المسلم أن ينصح غيره لينهاه عن المعصية ... ولا يمل الزوج من نصيحة زوجته فى الله وفى الطاعة أبداً بالحكمة والموعظة الحسنة ، أما أن يظل يطلب تغيير صفاتها وطباعها الخاصة والتى قد لا تعجبه ... فهذا أمر بعيد المنال .

لقد ظل (جولد) طيلة بضع وعشرين سنة يعالج المشكلات النفسية التى تصيب الناس ومنهم الأزواج والزوجات بصفة خاصة ، ثم صرح بعدها بتصريح هام نقله فى كتابه : (استمتع بالحياة) فقال : «إن المعجزات قلَّ أن تقع وليس من أمل يرجى فى وقوعها ، ولا مبرر لألم تستعره لأن المعجزات التى توقعتها لم تحدث ! .

ومن ثم وجب أن تنظر إلى شريكك فى الحياة كما هو ... لا كما تريده أن يكون ... فالزواج الناجح ليس حادثة (تقع) أو (حظاً) يواتيك ... بل هو عمل تعكف عليه حتى يؤتى ثماره ، وليس أشهى من ثمار يؤتيها الزواج السعيد» .

إنك يمكن أن تصبح سعيداً جداً فى حياتك الزوجية إذا لم تؤرق نفسك بصفات زوجتك التى لا تعجبك والتى لا تؤثر تأثيراً كبيراً فى حياتك الزوجية ... تغاضى عنها، وفكر فى صفاتها الجميلة وخلالها النبيلة ... فسترى الحياة الزوجية أبهج وأمتع .

المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الكشاف .

٣- محاسن التأويل للقاسمى .

٤- لطائف الاشارات .

٥- مفاتيح الغيب ـ للرازى .

٦- أحكام القرآن ـ لابن عربى .

٧- تفسير الألوسى .

٨- تفسير ابن كثير .

٩- تفسير الطبرى .

١٠- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم .

١١- تفسير السعدى .

١٢- تفسير البحر المحيط .

١٣- زاد المسير .

١٤- فتح البارى .

١٥- شرح السنة للبغوى.

١٦- مسلم للنووى .

١٧- مسند أحمد .

١٨- صحيح ابن خزيمة .

١٩- الأدب المفرد للبخارى .

٢٠- السنن الكبرى للبيهقى .

٢١- الأحكام السلطانية للماوردى .

٢٢- مجموع فتاوى بن تيمية .

٢٣- المغنى لابن قدامة .

٢٤- إعلام الموقعين .

٢٥- الفوائد .

٢٦- زاد المعاد .

٢٧- أحكام الأحوال الشخصية لعبد الوهاب خلاف.

٢٨- الضعف الجنسى للشرقاوى.

٢٩- بحوث هيئة كبار العلماء بالسعودية .

٣٠- أسئلة الأطفال للآباء والأمهات - ط التوفيقية.

٣١- مجلة الوعى الإسلامى ذو الحجة ١٤٢٠ هـ.

٣٢- تحفة العروس - الشرقاوى .

٣٣- الجنس بين الدين والقانون - عبد الحليم محمد منصور - الجمهورية.

٣٤- أسرار ليلة الزفاف - بكر محمد إبراهيم .

وغيرها ...

الفهرس

تابع الفهرس